حوليات آداب عين شمس المجلد ٤٥ (عدد يناير – مارس ٢٠١٧)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

تبعات ما بعد الحداثة وثقافة شباب ما بعد الثورة المصرية
دراسة أنثروبولوجية

هناء محمد خيرى المرصفى *

أستاذ مساعد بقسم الاجتماع - كلية البنات - جامعة عين شمس

المستخلص

تأتى هذه الدراسة لتسهم فى ربط رؤى وسلوك الشباب الذين عايشوا ثقافة ثورتى ٢٠١١ و٢٠١٣ عبر ثقافة ما بعد الحداثة؛ ومن ثم يمكن لنا أن نقول إن الهدف من هذا البحث هو معرفة كيفية تكيف الشباب المصرى مع ثقافة عصر ما بعد الثورتين، وإلى أى مدى تغلغلت خصائص ما بعد الحداثة مع ثقافة شباب هذا العصر؟ وهل تم تجاوزها لثقافة جديدة؟

وظفت الباحثة المنهج الأنثروبولوجى بأدواته: فجمعت بين أساليب جمع البيانات المختلفة من المقابلات المتعمقة والملاحظة بالمعايشة ودراسة الحالة وأساليب جمع البيانات لخطاب الحياة اليومية. وتم تحليل ثقافة شباب ما بعد الثورتين ٢٠١١ و٢٠١٣ من خلال خطاب الحياة اليومية المتمثل فى الكلمات المميزة لحديث الشباب، وأقوال الحالات وتصرفاتهم، وفنون الإعلام من مقالات وكاريكاتير، وأقوال الإخباريين حول كل ما يعكس ثقافة الحياة اليومية، من أجل التوصل لمدى تغلل خصائص ثقافة ما بعد الحداثة فى ثقافة مجتمع البحث من الشباب، المقيم فى القاهرة من الطبقة المتوسطة ممن حصلوا على درجة علمية جامعية أو متوسطة وقطعوا شوطًا فى التعليم المفتوح. كما اعتمدت الدراسة أيضًا على إخباريين لديهم شبكة علاقات اجتماعية متشعبة مع عدد كبير من الشباب، من أبنائهم ومعارفهم وممن هم على صلة بهم، كما أن الباحثة قد قامت طوال فترة الدراسة بمعايشة الشباب، فأجرت معهم عدة مقابلات جماعية ودراسات حالة متعمقة مع من لهم القدرة على التعبير عن ثقافتهم، وقامت الباحثة بعد ذلك بتحليل المادة الميدانية فى ضوء القضايا النظرية لثقافة ما بعد الحداثة.

وقد توصلت الدراسة لعدة نتائج من أهمها: أن شباب مصر قد مارس سلوكيات مرتبطة بثقافة ما بعد الحداثة حتى قبل ثورة ٢٥يناير، كما أنهم يحاولون الوصول إلى اليقين الذى - على حد قول الشباب - أصبح مستبعدًا؛ لعدم صدق رواة التاريخ، وتزييف تحليل بعض الحقائق والأحداث الجارية. وعلى الرغم من شكهم فى أن كل الحقائق ثابتة وإنكارهم صدق كل الروايات التاريخية، فإن معظم الشباب مازالوا يؤمنون بأنه على الأقل هناك حقيقة مؤكدة هى الوجود الإلهى، ولكنهم يلقون اللوم على قصور رؤى رجال الدين التى لا تتناسب مع العصر، كما أن الشباب يرون فى تسليع المرأة وتوحش الرأسمالية وسيادة التكنولوجيا لحد التشاؤم منها خصائص لها أساس فى الحداثة تطورت فى ثقافة ما بعد الحداثة، ومما سبق توصلت الدراسة الميدانية إلى صعوبة وضع حد فاصل بين ثقافة الحداثة وثقافة ما بعد الحداثة لدى شباب ما بعد الثورتين إذ قد بدأت تظهر خصائص ثقافة جديدة؛ **تأخذ موقفًا وسطيًا بين هاتين الثقافتين، وتتفق مع ما أطلق علماء الاجتماع المعاصرون عليه ثقافة ما وراء الحداثة.**

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب - جامعة عين شمس ٢٠١٧.

المقدمة:

تتناول الدراسة اختبار تأثير بعض مقولات نظرية ما بعد الحداثة على ثقافة الشباب ورؤاهم فى مرحلة ما بعد الثورتين المصريتين ٢٠١١ و٢٠١٣، فقد شهد العالم مع الألفية الجديدة تحولاً بعد ظهور تأثير للثورة الإلكترونية والفضائيات والمحمول؛ مما أدى لعدم ارتباط الثقافة بمكان معين، حيث ساعد على اندلاع الثورات فى أماكن عديدة، وقد واكب ذلك دراسات أنثروبولوجية تهتم بالصفوة، وعلى النقيض من ذلك انتشرت دراسات أخرى تهتم بقاع المجتمع بالمناطق العشوائية فى الحضر الممتدة مع عولمة الدول النامية (Featherstone, 2007, xxi).

ورغم أن هناك فجوة معرفية بين الشرق والغرب فإن تغير الثقافة نتيجة للثورة الإلكترونية قد فرض على الدول النامية تغيرًا ثقافيًا صبغ سلوك أفراد المجتمع وقيمهم - خاصة الشباب - بصبغة ثقافية جديدة، وشكّل منظومة الحياة؛ مما أثر على حياة الشباب وسلوكهم تأثرًا ملحوظًا، وحدد شكل العلاقات الاجتماعية وأنماط التفاعل بينهم(أحمد مجدى حجازى، ٢٠٠٤، ٥٢). ولقد تعددت وجهات النظر فى تأثير تلك الثقافة، وإلى أى مدى أصبح لا مناص من قبولها والرضوخ لها (أسماء أحمد عبد الغفار، ٢٠٠٧، ١).

وبالرجوع إلى التراث البحثى عن ثقافة ما بعد الحداثة لم نجد إلا دراسات محدودة، خاصة لو قصدنا إلى تلك الدراسات المرتبطة بالشباب المصرى بعد ثورتَيْ ٢٠١١، ٢٠١٣. ولما كانت مرحلة ما بعد الثورتين مرحلة حديثة، والدراسات فى موضوع ثقافة ما بعد الحداثة محدودة – فإن هذه الدراسة تعد من الدراسات التى تتطرق إلى اختبار أكثر من قضية من قضايا ما بعد الحداثة.

وتنقسم هذه الدراسة إلى أربعة أجزاء: الجزء الأول يتناول مشكلة الدراسة وأهدافها والتساؤلات الرئيسية، ثم الجزء الثانى الإطار النظرى والإجراءات المنهجية، ثم الجزء الثالث التحليل الميدانى، وأخيرًا، الرابع يقدم أهم نتائج الدراسة.

أولاً- مشكلة الدراسة وأهدافها وتساؤلاتها:

يتناول هذا الجزء مشكلة الدراسة وأهدافها وأهم تساؤلاتها وأهميتها:

١-المشكلة:

شهد هذا العصر-عصر الثورات - موجة من التمرد فى معظم الدول العربية، توجت فى مصر بإقالة الرئيس الأسبق، التى رآها البعض ثورة حققت هدفها، فى حين رأى آخرون أنها ثورة ما زالت مستمرة، ولم تحقق كل أهدافها بعد، ومن الملاحظ أن هذه الثورة قد نبهت إلى أننا مقبلون على مرحلة مختلفة يصح أن نعدها بداية لحقبة تاريخية جديدة، وهى مرحلة تحتاج دراسة متعمقة، فإذا كانت الفترة السابقة لثورة ٢٠١١ والفترة الحالية قد رأى بعض علماء الاجتماع أنها تمثل عصر الحداثة Modernism، لكن أرى أننا خلال هذه المرحلة فى حاجة لتعريف مغاير؛ حيث بدأ بعض علماء الاجتماع يؤمنون بأننا فى أعقاب حركة ما بعد الحداثة Post-modernism، التى تمردت على الكثير من ثوابت الحداثة، ثم تلتها بعد ذلك حركة أخرى حاولت أن تقلل من غلواء ذلك التمرد على ثوابت هذا العصر، (Featherstone, 2007, xiii Vermeulen and Akker,2010,4, Yousef, 2017, 37).

هذا ما يدعونا للتساؤل هل من الممكن أن نطلق على هذه المرحلة مرحلة ثقافة ما بعد الحداثةPostmodernity أم ثقافة ما وراء الحداثة Metamodernism؟ وهل من الممكن أن نعد تمرد الشباب فى ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ ثورة على ثقافة جيل الآباء بقيمه الثابتة، ومؤشرًا لبداية عصر جديد يمكن أن نطلق عليه عصر ثقافة ما بعد الحداثة

Postmodernity؟ وإذا كان بعض علماء الغرب يرون أن ثقافة ما بعد الحداثة قد قادت إلى موجة معاصرة تسعى لتعديل مسار حركة ما بعد الحداثة، عرفت تلك الموجة بعد مرحلة ما بعد الحداثة باسم ما وراء الحداثة Metamodernism(Featherstone, 2007, xiii Vermeulen and Akker,2010, 4, Yousef, 2017, 34- 37) - فهل من الممكن أن نجد لهذه الحركة الأخيرة بعض التأثير فى الشباب فى مصر على شكل تداعيات لما بعد الحداثة، حتى يمكن القول إننا بدأنا ننتمى لخصائص ثقافة ما وراء الحداثة (ما بعد - ما بعد الحداثة)؟ هذا يدعونا إلى أن نسأل: إلى أى مدى تعد ثقافة ما بعد الحداثة Post-Modernity هى ثقافة الشباب فى مصر؟ وماذا أخذت هذه من تلك الثقافة؟ وإلى أى مدى تجاوزتها إلى ثقافة ما وراء الحداثة metamodernity (ثقافة ما بعد ما بعد الحداثة)؟ من هذه المشكلة نبع الهدف من هذه الدراسة.

٢-أهداف الدراسة:

يتحدد الهدف الرئيس لهذا البحث فى الوقوف على مدى تغلغل خصائص ثقافة ما بعد الحداثة بين الشباب المصرى، ومدى تكيف الشباب معها بعد ثورتى ٢٠١١ و٢٠١٣، وما يتولد عن ذلك من ثقافة جديدة تميزها عن ثقافة ما بعد الحداثة. ويتفرع من هذا الهدف الرئيس عدة أهداف فرعية هى ما يلى:

- رؤية الشباب لفوضى الشارع بوصفها منتجًا لثقافة ما بعد الحداثة.
- معرفة مدى صدق التاريخ والحكم على الأحداث السياسية بعد الثورة، من وجهة نظر الشباب بمجتمع البحث.
- التوصل لمدى إيمان الشباب بوجود ثوابت ومفاهيم فارقة بينهم.
- معرفة نظرة الشباب وحكمهم على رجال الدين ودورهم بعد الثورة.
- التوصل لدور الإعلام فى تشكيل وعى الشباب وثقافتهم.
- التوصل لفكرة الحكم على المرأة بوصفها سلعة تخضع لمتطلبات العرض والطلب.
- معرفة علاقة ثقافة الاستهلاك والاستهلاك المظهرى على رؤى الشباب وسلوكهم.
- الكشف عن أثر التقدم التكنولوجى والثورة الإلكترونية وثقافة الشباب بعد الثورتين المصريتين.
- التعرف عن رؤية الشباب للفكر البراجماتى.
- معرفة مدى وجود روح ما بعد الحداثة المتشائمة بين الشباب.

٣- التساؤلات الرئيسية:

تبلورت تساؤلات الدراسات فيما يلى:

أ) إلى أى مدى تأثر الشباب بالمنتجات الثقافية (الفوضى، الثورة التكنولوجية، الثقافة الاستهلاكية، تسليع المرأة،...وغيرها) التى تفشت بعد الثورة؟

ب) ما الدور الذى يلعبه الإعلام فى تشكيل وعى الشباب وثقافتهم؟

جـ) إلى أى مدى حدث تغيّر فى مصداقية الحكم على الأحداث السياسية بعد الثورة فى نظر الشباب بمجتمع البحث؟

د) إلى أى مدى اختلفت المفاهيم الثابتة ضمن منظومة القيم فى نظر الشباب بعد الثورة؟

هـ) ما نظرة الشباب وحكمهم على رجال الدين ودورهم بعد الثورة؟

و) إلى أى مدى يتفق الفكر البراجماتى لدى الشباب وظروف هذا العصر؟

ى) هل تعد صورة المستقبل لدى الشباب متفائلة أم متشائمة؟

٤- الأهمية:

أ- الأهمية النظرية:

ترجع أهمية هذه الدراسة إلى أنها تضيف للمكتبة الاجتماعية والتراث الأنثروبولوجى إسهامًا لتحليل ثقافة الشباب خلال فترة حاسمة فى تاريخ الشعوب، ومن الجدير بالذكر أن أغلب ما وقع فى أيدى الباحثة من دراسات لم يكن من بينه دراسة ميدانية تعرض تأثر غير المتخصصين بثقافة ما بعد الحداثة وتبعاتها، أو تعرض آراء الشباب الذى لم يدرس هذا الفكر ومدى تأثيره وتأثره بهذه الثقافة، فهى تضيف تحليلاً لموضوعات الساعة، وتقدم إضافة لرؤى الشباب لثقافة الثورة، وثقافة ما بعد الحداثة وما تولد عنها، ومن الجدير بالذكر أيضا أن هذه الفترة لم تأخذ حقها من الدراسة والتنظير؛ لذلك جاءت هذه الدراسة مُحاولة دراسة نظرية ما بعد الحداثة وما تلاها من نظريات معاصرة فى ضوء ثقافة الشباب المصرى والثورة؛ كإضافة للمكتبة الاجتماعية من حيث تحليلها لتبعيات الثورة ورؤى شباب هذه المرحلة.

ب- الأهمية التطبيقية:

تتمثل الأهمية التطبيقية لهذه الدراسة فى أنها تلقى الضوء على مرحلة فارقة، لم تتم بعدُ دراسةُ ثقافتها بصورة متعمقة، خاصة فيما يتعلق بثقافة الشباب وتمرده ومشكلاته، وانعكاساتها على المجتمع فى ضوء المتغيرات المعاصرة، وخاصة أن العولمة قد كسرت الحدود والقيود؛ حتى صار الشباب المصرى متفاعلاً مع المتغيرات العالمية؛ ومن هنا ستحاول هذه الدراسة تناول تطبيقات لنظرية ما بعد الحداثة وتبعاتها لفهم ثقافة الشباب المصرى ومشكلاته.

ثانيا-الإطار النظرى والإجراءات المنهجية:

يتناول هذا الجزء نظرية ما بعد الحداثة وتبعاتها ثم الإجراءات المنهجية للدراسة.

١- نظرية ما بعد الحداثة وتبعاتها:

نتعرض فى هذا الجزء إلى نظرية ما بعد الحداثة من حيث النظرية بمراحلها، والقضايا المستخلصة.

أ- نظرية ما بعد الحداثة بمراحلها:

نتناول فى هذا الجزء نظرية ما بعد الحداثة بمراحلها وقضاياها؛ وهذا يشمل مرحلة نهاية ثقافة الحداثة، ثم مرحلة نشأة ثقافة ما بعد الحداثة، والقضايا المختلفة التى تعرضت لها كل مرحلة مما سبق.

ترجع نظرية ما بعد الحداثة فى نظر الفلاسفة وعلماء الاجتماع ودارسى الثقافة إلى نهاية عصر الحداثة، نتيجة لإعلانهم عدم جدوى نظريات الحداثة لهذا العصر، ويرى منظرو ما بعد الحداثة أن المشروع الحداثى قد فشل فى الوصول لأهدافه التنويرية؛ إذ لم يصل إلى التجربة العربية من هذا المشروع سوى صورة سطحية؛ أى ما يعرف "بالتحديث" Modernization، وهو عملية استخدام التقنيات والمخترعات الحديثة "دون إحداث أى تغيير عقلى أو ذهنى للإنسان فى الكون والعالم..."، أما الحداثة Modernism - فهى فى الأصل- "اللحظة الواعية التي تتمثل في انتظام العقلانية والفردية والعلمانية والقيم الحرة، في اندفاعة حضارية قادرة على إحداث تحولات عميقة في البنية الاجتماعية والبنائية للمجتمع، بينما قد يكون التحديث حالة من حالات الاستيراد المنظم لشكليات الحداثة، مثل: استيراد السيارات والطائرات وأنظمة التعليم وبدع الاستهلاك

الاجتماعي"(على وطفة، ٢٠٠١، ٤١-٥٠ ,Featherstone, 2007,5-6)، وهذا يعنى أن الحداثة ترتبط بالناحية الفكرية التى تأمل فى تغيير المجتمع للأفضل.

ويرى على وطفة أن التحديث في التجربة العربية يأخذ طابع المحاكاة الجوفاء لمظاهر غربية فى صورة نماذج تتعارض والنسق الحضاري العربي، ولا تنم على حالة حضارية تنبثق من صميم المجتمع، وأن ذلك قد يعنى أننا - فى عالمنا العربى - نعايش منظومتين اجتماعيتين متنافرتين تعكسان ازدواجية المجتمع، هما:

- مجتمع تقليدي يمارس ويحترم معايير وقيمًا تقليدية.
- مجتمع حداثي يعيش وفق أحدث المعايير العصرية، دون أن يتمثل روح هذه المعايير ويتشربها فى ذاته. (على وطفة، ٢٠٠١، ٤١-٥٠).

ويمكن أن نميز فى مضمون الحداثة بين وجهين: خارجي وداخلي. ويتمثل الوجه الخارجى فى المنجزات المادية والتطورات العلمية والتكنولوجية، أما الوجه الداخلي فيتمثل في الجانب المعنوى كالسلوك والشعور والقيم الإنسانية. فالحداثة لا تقوم بذاتها، وإنما تتأصل في النسق الاجتماعي الذي يشمل الوجهين: المادي والمعنوي.

وقد استطاع علماء الاجتماع أن يتوصلوا إلى نقاط الضعف والجوانب السلبية للحداثة، وعلى الرغم من ذلك رجحوها بوصفها نمط للحياة - بنزعتها العقلانية – إذ إنها لم تستطع أن تحقق ما كانت تصبو إليه، وقد انتقد الحداثة - على مدى القرون الماضية - مفكرون كبار، استطاعوا أن يفندوا الأسس التي قامت عليها، وأظهروا التناقض بين العقلانية التى تروج لها والجانب الذاتي الإنساني الذى لا تعيره اهتمامًا كبيرًا، وهذا التجاهل للجانب الذاتي في الإنسان يضع الحداثة في أزمة، فى حين يرى رائد ما بعد الحداثة فى أمريكا الذى روج لها إيهاب حسن أن "الحداثة لا تتوقف فجأة لتبدأ ما بعد الحداثة، وإنما يتعايشان معًا(Hassan, 1995:47).

ويعتمد التحول نحو ثقافة ما بعد الحداثة على محورين: أولا ظهور تقنيات جديدة لإنتاج الثقافة وإعادة إنتاجها، وما ينعكس على خبرات الحياة اليومية وممارساتها، وثانياً الشك فيما توصلت إليه الحداثة من ترميز للمعرفة على أساس من ادعاءات العلم، أو الماركسية أو النسوية؛ بهدف التوصل إلى توجهات رئيسة للشباب فى معارفه وممارساته، وهدف ثقافة ما بعد الحداثة هو التوصل لتساؤلات رئيسية حول طبيعة التغير الثقافى والبعد النظرى الذى يسعى لتحليل هذا التغير(Featherstone, 2007, 50).

وهذا يعنى أننا نعيش عصرًا يحمل تساؤلاً عن مدى تشبع الشعب المصرى بمعايير الحداثة ومدى تشبع العامة بها، وما إذا كانت قشور الحداثة كتوسع أسمنتى وتقنيات كمبيوتر متطورة قد خلقت ما عرف بفوضى ما بعد الحداثة. فعلى الرغم من أن بعض المنظرين فى الشرق رفضوا الإقرار بنهاية عصر الحداثة فى مصر، فإن بعض منظرى الغرب قد اعترفوا بنهاية هذا عصر وميلاد عصر جديد يعرف بعصر ما بعد الحداثة، من أمثال المفكر الفرنسى جان فرنسوا ليوتار Jean–Francois Lyotard (١٩٢٨-١٩٩٨) الذى أعلن فى مؤلفه "وضع ما بعد الحداثة" La Condition Postmoderne(1979) نهاية عصر الحداثة وميلاد عصر جديد أسماه عصر ما بعد الحداثة، وهو فى هذا السياق قد أعلن عن:

- سقوط النظريات الكبرى، وعجز هذه النظريات عن قراءة الواقع أو تفسيره؛ لأن هذه الأنساق الفكرية تعاني الجمود والانغلاق، كما أنها ليست قادرة أبدًا-كما يذهب أصحابها وروادها- على تفسير العالم أو المجتمع، أى أن ما بعد الحداثة ترفض نظريات الماركسية وغيرها من النظريات الشمولية المعروفة.
- التاريخ لا يأخذ خطًا حتميًا تحركُه تتابعات المراحل، وحتميات التتابع التاريخي الذي أنبأت عنه الماركسية وغيرها، فالتاريخ الإنساني قد يأخذ شكل دوائر متداخلة، ولكنه قد يتراجع وقد ينهض من جديد أو يراوح في مكانه، ويسعى إليها التطور في منظور الأنساق الفكرية الكبرى (على وطفة، ٢٠٠١، ٤١-٥٠).

وقد شكلت الانتقادات المنهجية التي وجهت إلى مفهوم الحداثةِ الأرضية الفكرية التى غذت جذور ما بعد الحداثة، وتطورت لتواكب روح العصر المتجدد في مختلف ميادين الحياة الفكرية، وبذلك بدأت مرحلة جديدة أطلق عليها ما بعد الحداثة.

وقد وجدت بعض السمات الثقافية التى اتسمت بها الحداثة كأساس للفكر العقلانى، عكست بعض القيم الحداثية التى بحثتها نظرية ما بعد الحداثة ورفضتها، ومن أهمها:

- الدين مهم جدًا فى حياة الفرد.
- نظرة الفرد للمؤسسات الدينية إيجابية.
- لا يوجد علاقة بين الفرد والسياسة.
- هناك حدود واضحة بين الخير والشر.
- يمكن التعامل مع المشكلات البيئية دون مشاكل(Inglehart, 2000, 26).

وعلى الرغم من أن الحداثة سيطرت فى النصف الثانى من القرن العشرين بنظرياتها الكبرى، فإنه مغ ظهور مرحلة ما بعد الحداثة - بعد الحرب العالمية الثانية - بدأ التشكك فى هذه النظريات الكبرى(Yousef, 2017, 1)، ومع ذلك فإن الدراسة المتعمقة لما بعد الحداثة تصل بنا إلى وجود ملامح رئيسة تناقشها فلسفة ما بعد الحداثة، حتى أننا يمكننا أن نجزم بأن العلاقة بين الحداثة وما بعد الحداثة ليست دائمًا علاقة تناقض؛ فهناك خصائص كانت موجودة فى عصر الحداثة، وظلت باقية فيما بعد الحداثة مع بعض التطور(سمير أحمد الجزار، ١٩٩٨: ٦٣). فقد واكب الحداثة وتعايش مع ثقافة ما بعد الحداثة:

- تأثيرات العولمة.
- التكنولوجيا وسيادة الآلة على الإنسان.
- الرأسمالية وتوحشها نتيجة التبعية للنظام العالمى.

يمكن من هذا المنطلق الإشارة إلى موقف يورجين هابرماسHabermas من تسمية هذا العصر بعصر ما بعد الحداثة Postmodernité فى مقاله الذي حمل عنوان "الحداثة مشروع لم يكتمل"، حيث كان يرى أنه مجرد رغبة فى الابتعاد عن التناقضات الكبيرة التى يوصف بها هذا العصر الجديد، الذى فشلت الإنسانية خلاله فى أن تجد الحلول المناسبة للإشكاليات التي يطرحها(على وطفة، ٢٠٠١، ٤١-٥٠). ويتسم العصر- الذى وصفه إيهاب حسن رائد نظرية ما بعد الحداثة - بالسمات الآتية، التى سوف تحاول الدراسة اختبارها ميدانيًا:

- رفض اليقين المطلق للمعرفة، ورفض المنطق التقليدي الذي يقوم على تطابق المصطلح كالخير مع المفهوم الاجتماعى.

- إسقاط نظام السلطة الفكرية في المجتمع، والإطاحة بمشروعية القيم المفروضة من فوق في الأنظمة والمؤسسات الاجتماعية كافة كالمؤسسات الدينية على سبيل المثال.
- تقديم صورة للعالم ليست موحدة وتتسم بالتعددية؛ لأن العالم فى حالة فوضى.
- سيادة الفن الجمعى المعادى للصفوة والسلطة بخصائصه التى تتجاهل ما يتفق عليه، واستخدام الألفاظ المتدنية فى الفن، والتعاملات اليومية.
- حرية التعبير وتقبل الانقطاع عن الثقافة الرئيسة، واختفاء أحادية التفكير.
- ازدهار فن السخرية دون هدف فى استخدام الأقوال المأثورة والكاريكاتير؛ مما يسبب القلق أكثر من الراحة النفسية.
- تفكيك ثنائية الخير والشر؛ ومن ثم يرى الإنسان أن يعمل ويجرب ما يريد(Hassan, 1995, 47-52).

واختلف الاجتماعيون حول مدى انعكاس فكر ما بعد الحداثة على الفكر الاجتماعى المصرى، وقد أرجعت بعض الدراسات سيادة ثقافة ما بعد الحداثة بين المثقفين للأسباب الآتية:

- اهتمام بعض المفكرين الاجتماعيين المصريين بأفكار الغرب غير الأصيلة لمجتمعنا.
- الترجمات والتأليف لأفكار منقولة ألصقت ببعض القضايا الثقافية(أسماء أحمد عبد الغفار، ٢٠٠٧، ٦٥).

وعلى الرغم من ذلك فإنها ترى عدم وجود تراكم ثقافى نتيجة وجود تعارض مع قيم تقليدية، حيث ترفضها الثقافة المصرية كالتفكيك والتعددية، كما أكدت ذلك أسماء أحمد عبد الغفار فى أطروحتها حول رؤية المثقفين لقيم ما بعد الحداثة، ولكنها تنتشر بين الفئات الذين لديهم قسط أكبر من التعليم والثروة (٢٨١-٢٨٢)، ولذلك ستناقش هذه الدراسة تشكل أولويات شباب الطبقة المتوسطة على طبيعة الخلفية القيمية والثقافية الموجودة من قبل ثقافة ما بعد الحداثة فى القضايا الآتية:-

- الفردية والتعددية بوصفها سمة من سمات الفوضى.
- حب الملذات على أساس أنه مصدر للسعادة.
- تفكيك الثوابت والمفاهيم.
- الشك فى المسلمات الدينية.
- تفكيك والتساؤل حول مدى واقعية النظريات الكبرى.
- الشك فى وجود حقائق ثابتة؛ كالحقائق التاريخية(Vermeulen and Akker, 2010, 2-4).

يدعى بعض علماء الاجتماع من معارضى ما بعد الحداثة أنها "ليست سوى نوع من الألعاب اللغوية"،... أو المصطلحات المستحدثة "التي لم يستقر بعضها في شكله الأخير، أو في معناه النهائي"، وعلى كلٍّ فقد ارتبطت ما بعد الحداثة بقاموس جديد، حوى بين طياته مفردات تعكس ثقافة مغايرة، لا تؤمن بوجود نظرية ثابتة، وتقوم بهدم الحقيقة الواحدة المؤكدة، فهى ترفض النظريات الكبرى كالماركسية، والأيديولوجيات ذات الصبغة الكونية كالأديان، وتهتم بالسرد والرواية المرتبطة بفئة صغيرة، فقد فككت ثقافة ما بعد الحداثة ما كان يطلق عليه الحقائق المطلقة، ورفضت المسلمات الدينية، وفككت الثنائيات كالخير

والشر(Jameson, A Summary of Postmodernism,2016, 1).

ونجد فى دراسة الحداثة وما بعد الحداثة وتعريفاتهما وتفسيراتهما كتبًا معاصرة ومقالات علمية تتطرق لثقافة جديدة تأتى بعد ثقافة ما بعد الحداثة (ثقافة ما بعد ما بعد الحداثة). يمكن أن نطلق عليها ثقافة ما وراء الحداثة Metamodernismأو الحداثة الجديدة Neomodernism كمسميات مختلفة لثقافة واحدة تأخذ موقفا وسطيا بين الاتجاهين الحداثى والما بعد حداثى لتتناول معطايات العصر. فتبحث فى طبيعة الثقافة التى تتحدى الما بعد حداثية بحثا عن ثقافة كونية جديدة (Yousef, 2017, 37).

بينما أعلن إيهاب حسن أن ثقافة ما بعد الحداثة تحوى بين طياتها عدوًا داخليًا يرى بعض دارسى الثقافة أن من أسباب نهايتها أنه لا يوجد منطق فى معظم ما تنطوى عليه ثقافة ما بعد الحداثة(Yousef, 2017,35-39).

٢-القضايا المستخلصة:

وعلى الرغم من تباين القضايا التى طرحتها مرحلة الحداثة وما بعد الحداثة فإنه يمكننا أن نوجز قضايا ما بعد الحداثة فى ضوء هذا التباين :

- لا تؤمن بالقيم العالمية ويسيطر عليها نسبية القيم المحلية.
- ترفض النظرة الكلية وتؤكد التعددية الثقافية.
- أفرادها ليس لهم أهداف فى حياتهم، فيرون أن الحياة بلا معنى ذاتية ونسبية.
- لا تؤمن بأن كل شىء له سبب وتؤمن بأن الحظ له دور كبير فى حياة الفرد.
- لا تومن بأن الحقيقة موضوعية وتراها نسبية.
- تتساءل عن العقلانية ووجود ارتباط بين أحداث الماضى والحاضر.
- سيادة السخرية وروح التهكم اللاذع.
- الشك فى أن الفن له معنى والتاريخ له قدرة على التعبير عن الواقع.
- ليست متفائلة ونظرتها متشائمة(Yousef, 2017,35-39).

وهكذا امتدت الإسهامات النظرية لتتواصل من جديد، حتى ظهر فى أواخر القرن العشرين **متغيرات ثقافية جديدة**، ولقد شغل الباحثة مدى ما توصلت له هتشون L. Hutcheon من أن "عصر ما بعد الحداثة قد بدأ ينحسر حتى وإن كان النقد الأيديولوجى الحداثى والما بعد حداثى وإستراتيجياته لا يزال بيننا، خاصة فى القرن الحادى والعشرين". وقد أضافت "أننا فى حاجة لمسمى آخر لهذا التغير الثقافى أو ما استمر نتيجة لحاجات العصر"(Vermeulen and Akker, 2010, 3)، وهذا البحث هو أحد الإسهامات البحثية التى تبحث فيما استمر وما ولى فى عصرنا هذا فيما يتعلق بثقافة ما بعد الحداثة .

تولد عن تداعيات ما بعد الحداثة قضايا حداثية استمرت من المرحلة السابقة، وقضايا استجدت مع مرحلة ما بعد الحداثة، وفيما يلى استخلصت الدراسة بعض تلك القضايا التى ستختبرها ميدانيًا:

– فوضى الشارع المصرى
- كذب التاريخ
- موت الحقيقة

- غياب القيم وتفكيك ثنائية الخير والشر
- تغير أدوار المرأة والرجل وتفكيك ثنائية المرأة والرجل
- عصر التكنولوجيا وفضائياته وتهديداته
- سيطرة الإعلام على العقول
- توحش الرأسمالية وتسليع الإنسان
- البراجماتية والفردية
- المجدونلدزية والوجبات السريعة
- الإعجاب بالغرب
- عيشة اللحظة

٢-الإجراءات المنهجية:

يتعرض هذا الجزء إلى الإجراءات المنهجية التى اتبعتها الدراسة، وذلك ما يشمل: مجتمع الدراسة، المنهج، أساليب جمع البيانات، وأساليب التحليل والتفسير.

أ- مجتمع الدراسة:

يتمثل فى شباب الشرائح المختلفة من الطبقة المتوسطة المتعلم من (١٨-٣٥) الذى يقيم فى محافظة القاهرة، وقد اختارت الباحثة هذه المرحلة العمرية وفق مقياس الشباب الذين أعلن رسميا أنه يمثل الشباب المصرى فى مؤتمرات الشباب، واستبعدت المرحلة العمرية من (١٨-٢٢)؛ لأن الشباب فى هذه المرحلة لم يكملوا تعليمهم الجامعى، أو تعليمهم المتوسط، كذا لم يخبروا الحياة المهنية ويصلوا لمرحلة من الاستقرار النسبى فى تكوين وجهة نظرهم. وهم ممن يشاركون فى سوق العمل، وممن مازالوا مستمرين فى الدراسة، من الذكور والإناث، من المسلمين والمسيحيين، وممن هم من أوضاع اجتماعية مختلفة (متزوجون-لم يسبق لهم الزواج)، من أصول ريفية وحضرية.

ب- منهج الدراسة:

اعتمدت الباحثة على المنهج الأنثروبولوجى، ومنهج دراسة الحالة، وأسلوب جمع البيانات من خطاب الحياة اليومية التى تعتمد على المنهج الكيفى فى جمع البيانات وتحليلها؛ لاتفاقها مع طبيعة دراسة ثقافة الحياة اليومية ومتغيراتها.

جـ-أساليب جمع البيانات:

- استعانت الباحثة على **المنهج الأنثروبولوجى** فى جمع البيانات، وهو ينهض على الملاحظة، والملاحظة بالمعايشة، والمقابلات المتعمقة.
- كما اعتمدت الدراسة على **منهج دراسة حالة** لبعض الشباب المتعلم من الطبقة المتوسطة (من طلاب-جيران-أقارب-أصدقاء) أو من لهم خبرة بهم(ممن كان للباحثة صفة المعايشة أو المشاركة فى نشاط ما معهم لفترات طويلة ومتكررة) ممن تم اختيارهم بدقة نتيجة المعايشة، ولمعرفتهم الوثيقة بثقافة الشباب؛ لأن لهم أبناء شباب، بالإضافة لطبيعة مهنتهم. وبلغ عددهم (٣٥) شابًا يتوزعون على النحو التالى:

-(٧) طلاب من التعليم المفتوح ممن حصلوا على دبلوم متوسط، وهم(ممثلة ناشئة، شاعر، مؤلف قصص أطفال، عازف عود فى فرقة، مغنية ناشئة، ربة منزل (زوجة وأم).
-(١٣) من طالبات الدراسات العليا من المتفوقات.
-(١٥) من المعارف والجيران ممن شاركوا فى سوق العمل.

- واستعانت الباحثة **بأربعة إخباريين رئيسيين** يتراوح عمرهم(٤٥-٦٤)من الجيل الناقد الذى عايش الشباب كأبناء، ورفاق عمل، ورؤساء/مرؤسين، ومن خلال التعاملات

المهنية كزبائن، ومن شرائح طبقية مختلفة، من بينهم مسيحيون ومسلميون؛ فهم من خلفيات اجتماعية مختلفة، ولهم خبرة بثقافة الشباب بعد الثورة وقبلها.

- واعتمدت الدراسة الميدانية على **دليل العمل الميدانى** الذى اشتمل على بنود رئيسية، منها خصائص ما بعد الحداثة كالآتى: (فوضى الشارع المصرى، كذب التاريخ، موت الحقيقة، غياب القيم وتفكيك ثنائية الخير والشر، تغير أدوار المرأة والرجل وتفكيك ثنائية المرأة والرجل، عصر التكنولوجيا وفضائياته وتهديداته، سيطرة الإعلام على العقول، توحش الرأسمالية وتسليع المرأة، البراجماتية والفردية، والمجدونلدزية والوجبات السريعة، والإعجاب بالغرب، وعيشة اللحظة).

د) أساليب التحليل والتفسير:

استعانت الدراسة بأساليب التحليل والتفسير التى تعتمد على مؤشرات نظرية لتحليل الخطاب، ومؤشرات كيفية.

- أساليب تحليل خطاب الحياة اليومية وفقا لمؤشرات ثقافة ما بعد الحداثة، وثقافة ما وراء الحداثة(ما بعد ما بعد الحداثة.)

تطلب منا دراسة ثقافة الشباب المصرى بحث تأثير الثورة بوصفها ظاهرة من مظاهر التمرد، وهذا ما يدعونا إلى دراسة التمرد ومفاهيمه المعاصرة؛ ومن هنا كانت دراستنا لثقافة ما بعد الحداثة كثقافة تقوم على عوامل التمرد والتغير التى طرأت على الحداثة، ودراسة تبعاتها من ثقافة أعقبتها، بالتحليل الميدانى لما توصلت له الباحثة من ثقافة شباب ما بعد الثورتين ٢٠١١، ٢٠١٣ فى ضوء مؤشرات ثقافة ما بعد الحداثة، ومؤشرات ما وراء الحداثة.

سيتم تحليل مؤشرات ثقافة ما بعد الحداثة Postmodernity لخطاب الحياة اليومية المتمثل فى تحليل:- الكلمات المميزة لحديث الشباب، وتصرفات الحالات ورواياتها، فنون ومقالات وكاريكاتير الإعلام، أقوال الحالات والإخباريين حول كل ما يعكس ثقافة الحياة اليومية ما بعد الحداثية.

كما سيتم تحليل ثقافة الشباب وفقًا لمؤشرات ثقافة ما بعد ما بعد الحداثة –Post postmodernityأو ما وراء الحداثة Meta–modernity لخطاب الحياة اليومية، من حيث رفض ثقافة ما بعد الحداثة المتمثلة فى "الشك فى مذهب الشك الما بعد حداثى"، ويعرف ما وراء الحداثة بأنه الإيمان والإخلاص الذى يبدو فى الحوار، والعرض الذى يتنافى مع الحس الساخر بحثًا عن الثوابت والقيم(What is Post–postmodernism? Vermeulen and Akker, 2010,1, 2016).

- **أساليب التحليل الكيفى:**

قامت الباحثة بتصنيف مظاهر الحياة الحضرية والثقافية بعد دراستها دراسة واقعية، وذلك للوصول لأنماط اجتماعية، وتحديد أصول التغير فى ثقافة الشباب فى مجتمع البحث محل الدراسة، من خلال مقارنة أسباب هذا التغير بما كانت عليه الثقافة. وقد وظفت الباحثة بيانات دراسة الحالة وصنفتها وفقًا للمؤشرات الاجتماعية لخطاب الحياة اليومية السابق ذكرها، بحسب تعريف أحمد زايد له إجرائيًا، وفق عدد من المؤشرات الدالة عليه، التى تتناسب مع البحث، وهى:

- الأحاديث التى يتبادلها الأفراد فى تفاعلاتهم فى المواقف اليومية.
- الألفاظ الشائعة والأمثال والأقوال الأكثر انتشارًا.

- سياق الحديث من حيث التأكيد والمبالغة، ومن حيث الطريقة المتبعة فى الحديث أو الصمت(١٦-١٨).

وقد واجه هذا البحث والإجراءات المنهجية والميدانية صعوبات يمكن أن نجملها فيما يلى:-

أ - تشعب القضايا وغموض اللغة المستخدمة، وما يتبعها من غموض فكر منظرى عصر ما بعد الحداثة.

ب- اختلاف المحللين لعصر ما بعد الحداثة حول خصائصه، وبخاصة انتفاء وجود حقيقة ثابتة ينطلق منها رواد ما بعد الحداثة.

جـ- صعوبة التوصل لصورة واضحة لثقافة الشباب المصرى بعد الثورة؛ لما اتسمت به هذه المرحلة من تناقض واختلاف وبلبلة فى بعض الأحيان، وهو شىء من خصائص ما بعد الثورات، وهى الفترة التى يصفها بعض علماء الاجتماع بأنها فترة مرض اجتماعى.

ثـالثـًا- الدراسة الميدانية:

سوف نتناول فيما يلى تحليل القضايا الحاكمة لثقافة الشباب وبخاصة بعد الثورة المصرية، مقارنة بثقافة ما بعد الحداثة وما تحتمله من عولمة وتهجين بين الثقافات؛ مما يدفعنا للتساؤل إلى أى مدى تضافرت ثقافة الشباب المصرى بين قضايا حداثية وقضايا ما بعد حداثية؟ وإلى أى مدى ظهرت ثقافة جديدة يمكن أن نطلق عليها ثقافة ما وراء الحداثة؟. فعلى سبيل المثال ستتناول الدراسة الميدانية البحث فى مدى تعايش قضايا وسلوكيات وأنماط ومنتجات ثقافية تولدت بعد أحداث عصر الثورة، مع تفكك القيم والثوابت الاجتماعية والدينية، ومدى توحش الثقافة المادية وتسليعها للإنسان وتهديدها لأحلام الطبقة المتوسطة، وإلى أى مدى تقدم ثقافة الشباب صورة تتسم بالتعددية الفكرية، ومدى تأثير التكنولوجيا فى الشباب، ومدى سيادة الفن الهابط الذى أشاع الألفاظ الجريئة التى تبلغ حد الإباحية، ومدى ما أصاب الفنون جراء ذلك من تشاؤم وانتشار فن السخرية دون هدف، حتى تولدت فوضى ما بعد الحداثة.

١-عصر الفوضى:

برزت الفوضى فى الفترة الأخيرة فى كل ظواهر الحياة، حتى أنها ظهرت بوضوح فى التعاملات اليومية، وبخاصة فى تفاقم سلوكيات الفوضى المرورية التى يعانى منها الجميع، وقد قالت الحالات: "ممكن تلاقى سيارة مرسيدس بترمى كيس زبالة من الشباك"، "أغلب الشباب بيسوق وهو بيتكلم فى الموبايل"، "فيه ناس بتسوق ومش عارفة مين عطاها رخصة"، كما أكدت الإخباريات النساء أن الأمر ازداد سوءًا فى الفترة الأخيرة، خاصة تجاه غير المحجبات؛ لأن الأصوليين يهددون حريتهن فى القيادة من دون حجاب وبخاصة فى بعض الأماكن، فتقول إحدى الإخباريات:"أنا مأقدرش مثلاً أسوق عربيتى كده وشعرى مكشوف فى التحرير أتشتم فى حكم الإخوان، دلوقتى بأقفل الإزاز ومبسمعش حد وبسوق".

وقد لفت نظر الجميع تدني لغة الحوار فى الفترة الأخيرة، حتى قبل الثورة، على حد قول سائقى الأجرة، وتدنى الحوار من مظاهر الفوضى، بحيث شاع عدم احترام الكبير، بعد الثورة، خلافًا لما كان عليه الوضع قبلها، وقد اتضح من الملاحظة بالمعايشة أن الشباب يفضلون مساندة مثلهم عن احترام من هو أكبر سنًا، بل إنهم يخاطبون الجميع بصراحة قد تصل إلى التلفظ بألفاظ نابية، ربما لرفضهم الوضع القائم أكثر من مجرد التدعيم لعرف اجتماعى، فقد أوضح الإخبارى السائق المسيحى أنه على الرغم من كونه لا يرى نفسه

متديئًا يمارس الدين كما يجب فإنه لم يكن ليجرؤ أن يراه البابا شنوده يدخن سيجارة، فقد قال: "إنه من لم يكن له كبير يشترى له كبير". وهذا عكس ما اعتادت الباحثة سماعه من الشباب وهو يتندر: "كل كبير فيه اللى أكبر منه"، وقد كانوا يرددونه وقت حكم الإخوان، كذلك فإن إخبارية كانت تؤكد أن والدتها "هى كبيرة العائلة، يحترمها الجميع ليس لسنها فقط؛ لكن لأنها شخصية جديرة باحترام كل من كان يعمل معها فى مشاريعها الخيرية الصوفية من شباب وشابات أيضًا".

وقد أوضحت جميع الحالات أن الفوضى ليست نابعة من مصر فقط، وإنما برزت وتفاقمت لأسباب عالمية: "الجيش المصرى يصارع من أجل قمع الفوضى"، "الفوضى فى مصر... مش فى مصر بس؛ فهى فى حدودنا فى ليبيا والسودان وكمان سوريا والعراق..."، "...هى تيارات عالمية..."، "الثورة نتيجة للفوضى...مش الفوضى نتيجة للثورة"، كما أوضحت الحالات أن الفوضى تبرز أيضًا بين الشباب فى ظاهرة "الألتراس والألعاب النارية والشماريخ"، وكل هذه الفوضى من مظاهر ثقافة ما بعد الحداثة وتأثر الشباب بالإعلام نتيجة العولمة.

وهذه الفوضى يقابلها من الجانب الآخر رفض الكثير لهذا المظهر من الحياة، وقد استطاع الشباب مؤخرًا بعمله التطوعى مساندة الجيش، فاستطاع الجيش والشباب المتطوع أن ينظم مباراة فى تصفيات كأس العالم بين مصر وغانا ٢٠١٦؛ مما أكد إمكانية التغلب على فوضى ما بعد الحداثة، ومن الجدير بالذكر أن القضاء على هذه الفوضى ليس مستحيلاً، وأكبر دليل على ذلك سلوك الشباب فى ميدان التحرير خلال الثورة، وكيف كان الميدان منظمًا، ويتسم بتقسيم العمل وتوزيع الاختصاصات، دون ردع أو قهر، ومن ذلك يتضح أن الشباب يرى أن الفوضى Chaos التى هى من خصائص ما بعد الحداثة إلى زوال.

٢-التاريخ أكذوبة متفق عليها:

أيدت الحالات قول علماء ما بعد الحداثة بأن الحقيقة "ليست نتاجًا للغة، بل إن 'الحقيقة' هى أداة للقهر والخوف، فالحقيقة مسكوت عنها لمن يختلف مع من يملكون القوة وإظهار الحقيقة"(Kellner, 2016)، فقد أعلن علماء ما بعد الحداثة نهاية التاريخ، وقامت نظرية ما بعد الحداثة على فلسفة الشك في قدرة التاريخ على كشف الحقيقة، وقدرة اللغة على كشف الواقع(Yousef, 2017, 35)، وهذا ما عبر عنه معظم الشباب خلال المقابلات.

ومن الغريب أن الحقيقة قد أصبحت صعبة المنال فيما يتعلق بالأحداث القريبة أكثر من أحداث الماضى البعيد، فلقد أجمعت الحالات على أن الحقيقة قد فقدت معناها؛ وذلك للتضارب بين الأخبار، والتناقض الذى يقدمه الإعلام للحدث نفسه أو للقصة نفسها، غير أنهم يرون أن "التاريخ فيه الكذب والصدق.. وصعب أننا نعرف الحقيقة فين"، وقد عبر عن ذلك بوضوح أحدهم: "حكم عبد الناصر لا أعرف عنه إلا ما وصل لى عن طريق كتب المدرسة، لكن على رأى المثل'تعرفه..أيوه..عاشرته..لأ معشرتوش... تبقى متعرفوش"، فهذا بالأحرى - فى نظره - هو ما يجعل المصريين يختلفون فى حكمهم على الأوضاع السياسية وصدق التاريخ.

كما يرى الشباب أن "اللى بنتعلمه فى المدارس صدق ولكن مش كفاية"، "ده مش معناه إن اللى بنعرفه عن التاريخ كله صح على شبكات التواصل الاجتماعى...". وقد قالت إحدى الحالات: "اللى بندرسه فى المدرسة من تاريخ صح، لكن ناقص بعض الحقائق التى

تكملها قراءتنا التى تساعدنا على الحفاظ على تراثنا وتاريخنا، أما شبكات التواصل الاجتماعى فبتهتم بالإثارة فى اللى بتعرضه من أخبار"، وضربت مثالاً على ذلك بأن إحدى شبكات التواصل الاجتماعى نشرت مقالاً عن أن الأهرامات ليست ثلاثة وإنما اثنان فقط، ودعمت هذا الخبر أكثر من حالة، فقد قرأت مثل هذا المقال عدد من الطالبات الجامعيات مؤكدة أنه مقال يدعم حقيقة تاريخية كاذبة، وقالت الحالة كيف يتأتى لمن لم يزر مصر أن يعرف الحقيقة التاريخية، وقالت بعض طالبات الجامعة إن المقال ذكر "...أنه هرم واحد والفراعنة مش اللى بنوا الأهرام، ولكن عاد وثمود لأن الفراعنة كانوا أقزام..."، "ده مقال قرأته لكن طبعًا ما صدقتوش...لأنى ببساطة مش ممكن حد يشككنى فى إنهم على الأقل ثلاثة".

أما عن التاريخ المعاصر والواقع الذى نعيشه هذه الأيام ونخطه بأيدينا وتجاربنا فالأعجب أن تزييفه أسهل، فقد أجمع الشابات والشباب: "إحنا فعلاً بقينا فى حالة من التخبط كل واحد بيقول حاجة، ولكننا نشعر أننا أكيد فى يوم من الأيام حيتضح لنا التاريخ والحقيقة"، ومن ذلك يتضح أن جيل الشباب يشك فى التاريخ كما يرويه بعض الرواة، والشك فى التاريخ ليس شكًا مطلقًا بلا نهاية، بل هو شك فى الشك فى الحقائق التاريخية القديمة أكثر وضوحًا بين الشباب الذين يرون أن الزمن كفيل بأن يثبت صدق الحقائق، وإن كانت تبدو نسبية، فالحقائق المعاصرة عندما يمر عليها الزمن عندئذ يمكن التحقُّق من صدقها، وهذا يتفق مع ثقافة المرحلة الأخيرة التى تشك فى "الشك فى التاريخ" أحد خصائص ما بعد الحداثة، كما اتضح سابقًا، ولذلك السبب يحاول دائمًا الشباب المصرى البحث وراء الحقيقة التاريخية على الأقل التى يعايشونها، فيسخرون من أن "حتى الحقيقة راحت لا تعرف ما هى؟" كمن أصيبت بالمرض النفسى مرض العصر....مرض اضطراب الهوية، وتحاول البحث عن حقيقة هويتها، وهذا ماعكسه الكاريكاتير التالى فى جريدة المصرى اليوم تعليقًا على غياب الحقيقة الجلية فيما يرد حول الأحداث الجارية.

المصرى اليوم، الأربعاء٧ سبتمبر ٢٠١٦، العدد٤٤٦٨، ص١٦

٣-موت الحقيقة:

يؤمن علماء الاجتماع بوجود نوع من الحقائق خارج الإنسان الذي يحاول أن يكتشفه، فالحداثة تؤمن بالميتافيزيقا، فى حين أن ما بعد الحداثة لا تؤمن بها، أو على الأقل تؤمن بمنطق مغاير، فالحاجة لوجود الحقيقة كلية تنكرها ما بعد الحداثة، ولا تحاول الوصول إليها، فى حين تعلن "موت الحقيقة والفاعل والنظرية"، فلا يوجد ما يطلق عليه مثال واحد ينطبق على العالم كله فيما بعد الحداثة، ولا يوجد حقيقة واقعية...ولكن ما يوجد فقط هو نسبية تدين بفكرها للثقافات التى تنبع منها أو النطاق أو المجال الذى تتوالد القيم منه

بالضرورة، فهى قيم شخصية...فلا توجد قيم أفضل من أخرى (Kellner, 2016)؛ لذا يتساءل علماء الما بعد حداثة حول مدى عقلانية الحداثة وطريقة التفكير التى تؤمن بوجود حقائق عالمية، وترفض هذا التفكير الذى تراه غير منطقى(Yousef, 2017, 35).

وبالرغم من ظهور هذا الفكر على نطاق واسع فإن معظم الشباب ما زالوا يؤمنون بالميتافيزيقا، إيمانًا منهم بضرورة وجود حقيقة مؤكدة، وأن الله هو الحقيقة المؤكدة فى نظرهم، كما أن الحالات والإخباريين على يقين من وجود حقيقة واحدة مؤكدة على الأقل؛ ألا وهى الله خالق هذا الكون، فيقول الإخبارى سائق السيارة الأجرة المسيحى: "أنا كنت سواق الأنبا شنوده، لكن والله مقصر ومش بقوم بالمناسك لكن أنا مؤمن بقلبى"، أما الإخبارى الثانى سائق السيارة الأجرة المسلم فيرى أن الدين كلام الله، لكن رجال الدين لا يمكن الاعتماد عليهم "ولا على اللى بيقولوه" . وتؤكد الإخبارية التى تعمل فى إقامة الحفلات أن أبناءها يؤدون فروض دينهم، ولكن عندما علمت الباحثة أنها تبحث عن عروس لابنها وسألتها لماذا لا تلجأ للبابا ليساعدها على ذلك كان ردها:"احنا مبيعجبناش العرايس اللى بيجيبهم وهو ميقولش حقيقتهم ويخفيها ويرى إنهم حيتغيروا بعد الجواز".

وقد عايشت الباحثة غضب الشباب من رجال الدين والوعاظ ودورهم فى إرهاب العباد من النار وعقاب يوم القيامة، بل إن عددًا من الشباب أكدوا رفضهم بالقول: "ده ترهيب... ومعجبنيش الكلام ده"، فى حين كان رد أخت أحد الشباب الأكبر سنًا:"إيه الكلام ده!! محدش يتكلم عن رجال الدين كده"، وعلى الرغم من أن الإخبارية المسلمة التاجرة لها أم متصوفة دينيًا فإن الإخبارية عايشت عدم رغبة الأسرة فى حجاب إحدى بناتها، بل إن الجدة المتصوفة شجعت ابنتها وحفيدتها على عدم ارتداء الحجاب وأخبرت حفيدتها: "إنت لن تستطيعى القيام بهذه الخطوة، فلازم تحترمى الحجاب أو بلاش منه"، وقد أطلقت إحدى الحالات هذه العبارة وأيدتها باقى الحالات: "الدين طبعًا مهم، وربنا هو أملنا فى تنظيم هذا الكون اللى خربناه إحنا".

فالحقيقة موجودة، ويسعى الجميع للوصول إليها بالعقل، حتى وإن تعارض ذلك مع ما يقوله رجال الدين، وذلك يبدو متفقًا مع الرأى الماركسى القائل إن الدين هو "أفيون الشعوب"، أى أن الخطاب الدينى هدفه تخدير ضمير الشعوب حتى لا تثور، وقد أدرك الحالات والإخباريون أن هناك فرقًا بين الحقيقة فى وجود الخالق المنزه عن الخطأ والمتعالى عن الأمور، والنسبية الدنيوية وممارسات رجال الدين الذين يحاولون فرض رأيهم على الجميع، ولكن مازال الشباب المصرى يبحث عن الحقيقة المؤكدة التى يؤمن بوجودها فى السر الإلهى، وهذا فرق واضح بين ما يحدث فى مصر وما يحدث فى الغرب، فالشعب المصرى يتميز بأنه شعب متدين، بمعنى أنه يؤمن بوجود الخالق المنزه عن الخطأ، وإن تشكك فى الممارسات الدينية كما يمارسها العامة، ولكننا يمكن أن نجزم بأن الفكر الذى يقوم على التشكيك فى وجود الله، والذى أعلن تفكيك كل الحقائق وموت وهدم الحقيقة - مازال بعيدًا فى مجمله عن تفكير الشباب المصرى.

ولقد أرجع الشباب والإخباريون رفضهم للمؤسسات الدينية سواء المتمثلة فى الكنيسة الأم أم بعض المؤسسات الدينية الإسلامية لعدم قيامهما بدورهما كما يجب، وقد أوضحت إحدى الحالات أنها حضرت خطبتين للجمعة فى جامعين مختلفين وأحبطت جدًا لسببين: أولهما موضوع الخطبة، والثانى عدم إقبال الناس عليها، فالأول كما أخبرت الإخبارية كان محبطًا وتناول موضوعًا محرجًا، على الرغم من أن النشرة وُزِّعتْ على الجوامع للحديث عن دور المرأة بمناسبة عيد الأم، وكانت الخطبة الثانية عن علاقة الإنسان بربه، ولم تتعرض للمعاملات التى نحن فى أشد الحاجة إليها، أما السبب الثانى لإحباطها

فهو عدم إقبال جموع الشباب على حضور الخطبة والتزامهم فقط بالصلاة كما تطلب تعاليم الدين الحنيف، وأرجعت النقص فى الحضور من جموع الشباب إلى القصور الذى لاحظته فى موضوع الخطبة.

كما أن إخباريًا مسيحيًا قد أخبر الباحثة بأن المسيحيين يعرفون أن هناك رجال دين مسيحيين يمتلكون ثروات، فى حين أن دخلهم يجب أن يكون محددًا ومعروفًا وهذا يثبت أنهم يهتمون بالأمور الدنيوية أكثر من اهتمامهم بدورهم بوصفهم رجال دين، كما أن إخباريًا شابًا مسيحيًا أحجم عن الذهاب إلى الكنيسة؛ لأنه يرفض الخطاب الدينى المعاصر الذى يرهب ولا يرغب، مع العلم بأنه لا يرى أن إيمانه غير منقوص، ومن ذلك يتضح أن رفض الشباب لسلوك رجال الدين ونقدهم للخطاب الدينى لا يشكك فى إيمانهم بحقيقة مؤكدة ألا وهى وجود إله واحد، هو الخالق وهو حقيقة ثابتة، وهذا يختلف عن منظرى ما بعد الحداثة فى الغرب الذين أعلن أغلبهم إلحادهم.

وقد أوضح الشباب قلة حالات الإلحاد فى مصر بينهم؛ فلم يوضح سوى حالة أنه لم يصادف فى حياته سوى شاب واحد من المشككين فى وجود الله، وكان ذلك قبل الثورة، ولكنه لم يعلن ذلك بصراحة إلا بعد الثورة، قائلاً إنهم "قلة مبتعبرش عن الشباب ... فيه شباب يقرءون بأنفسهم كتب السلف وكتب المحدثين ليصلوا للحقيقة، ولكن الغالبية لا تتعمق فى الدين، لكن غالبًا الكل بيحكم عقله وقلبه علشان يوصل للحقيقة"، "أنا أفكر بعقل، ولكن بعقل آخر عن الذى يفرضه علينا الآخرون"، وهو قول قد كرره العديد من الحالات المسلمة والمسيحية، ومن الجدير بالذكر أن كل الحالات قد أوضحت أن مشكلة الشباب ليست مشكلة إلحاد قدر ما هى مشكلة تطرف دينى، كما أوضحت إحدى الحالات أن الشباب لا يشكون فى وجود الله، ولكن قد يشكون فيما إذا كانت بعض الممارسات المرتبطة بالدين قد فرضت من الله فعلاً، مثل ما إذا كان الحجاب من متطلبات الإيمان القويم، ففى الدين الإسلامى على سبيل المثال "من الواضح أن اللى خلعوا الحجاب مؤخرا وجدوا صعوبة فيه، وسمعوا أن الحجاب مش من ضروريات الإسلام... لكن ده مش معناه إنهم ألحدوا". ومن الجدير بالذكر أن المحجبات قد كوَّن صفحة على الفيسبوك؛ ليتبادلن الخبرات، وليساعدن بعضهن على البقاء محجبات فى ظل مغريات العصر، وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على بحث الشباب عن الحقيقة، فهم قد تجاوزوا مرحلة الشك فى وجود الله إلى البحث عن الحقيقة التى تتنافى مع الإحجام عن البحث عن الحقيقة كما تدعى ثقافة ما بعد الحداثة، فبحث الشباب تعدى البحث عن الحقيقة الأولى فى الكون إلى البحث عن القيم النابعة من تلك الحقيقة الأبدية.

٤-تفكيك الثنائيات وفقدان القيم:

ينكر فكر ما بعد الحداثة الثنائيات كالخير والشر، ويرى أنه لم يعد هناك "خير خالص"، ولم يعد هناك نقيض له "شر خالص"، وإنما كل شىء نسبى، أى أننا لا نستطيع أن نقول إن الخير مضاد الشر، وقد أدى ذلك إلى تفتيت القيم، فلم تعد هناك قيم واضحة يحترمها البشر(عبد الوهاب المسيرى ٢٠٠٠: ٤١-٦٠). يقول الإخبارى سائق السيارة الأجرة الذى حاول الهجرة إلى أمريكا: "مفيش شىء اسمه قيم يحترمها الناس فى كل مكان، لكن كل إنسان له مبادئ خاصة بيه، واللى مالوش مبادئ مش إنسان، فالقيم والثوابت الدينية اتهزت؛ خاصة أن القساوسة أصبح عندهم شركات سياحية مع العلم أن أجرهم لا يزيد على ٢٠٠٠جنيه، ليه محدش بيسألهم من أين لك هذا؟! والشيوخ المسلمين بيخلونا نمضى على كشوف الزكاة بمائة جنيه وناخد عشرة بس"، وقد عبر عن ذلك الشاب المهندس عندما تحدث عن الوضع الحالى قائلاً: "أنا مش عايز حد يكلمنى عن الفساد؛ فإحنا كلنا كنا أكيد

فى أمان قبل الثورة، كان مبارك حابس كل دول تحت الأرض بقمع وكبت، مش مهم، أظن ده دليل على أن الوضع كان أحسن"، وهذه ليست نظرة فردية، لكنه اتجاه قد بدأت تتضح معالمه بعد الثورة فى جماعة أطلقت على نفسها "آسفين ياريس"، أما الإخبارية المسيحية التى تكبره سنًّا فرفضت هذا الرأى، وأيدها سائق الأجرة قائلاً إن " كل شيء أصبح بالرشوة، التي أصبحت أمرًا طبيعيًّا خاصة عند تجديد رخصة العربية"، وروى أنه فرض عليه غرامة عن فعل لم يقم به، إذ حرر له غرامة لسير عكس الاتجاه فى نفق العباسية، وقال: "لا يمكن حد يعمل كده إلا لو مستغنى عن عمره"، ومن خلال المعايشة اتضح أن بعض الغرامات يمكن أن تلغى بالجدل، وهذا وإن دل على شيء فإنما يدل على تفكيك القيم وعدم وضع قيم أخرى مكانها، وهذه ظاهرة فى رأيهم كانت موجودة قبل الثورة، ومازالت كما هى بعد الثورة.

أما الثنائيات التى لا ترتبط بالخير والشر، مثل ثنائيات الرجل والمرأة، فقد قام عصر ما بعد الحداثة بتفكيكها إلى تعددية، وقياسًا على هذا التفكيك فإن الشباب يرون أن أدوار المرأة والرجل تعرضت أيضًا للتفكيك، كما عبر عن ذلك إحدى الحالات من الشباب فى عبارات موجزة: "ليس من المفترض أن تكون الأنثى أنثى لأن عندها رحم تعرف تنظف أحسن وتطبخ أحسن...أنا عندى صحابى الولاد بعضهم بيحب المطبخ، وممكن يدوا وصفات كمان أفضل من البنات". وقد دعم هذه المقولة قول الحالات حول الأدوار النوعية، كيف أنها تختلف من أسرة لأخرى، فتبادل الأدوار أصبح أمرًا جدليًّا، وإن كانت أغلب الحالات ترى أن الأدوار التقليدية مازالت مصدرًا للصراع بين الشباب من الرجال وأخواتهم فى تقسيم الأدوار داخل المنزل؛ وذلك لأن الرجال مازالوا يتمسكون بالأنماط الجامدة التى تعكس ثنائية الذكر والأنثى، وقد أوضحت إخبارية أن الثوابت مثل أدوار المرأة قد تغيرت، فبعد أن كان دور الرجل هو الإنفاق صار الرجل يبحث عن المرأة التى تعمل لتساعده على الإنفاق، ولكن القيم الأخلاقية مازالت كما هى، وإن كانت الثقة فى تبنى تلك القيم قد اهتزت، فتروى حالة نشأت فى البحيرة ومازالت تقيم بها أن القيادات التقليدية مازالت موجودة، وإن اهتزت قيمتها نتيجة لضعف تأثيرها ودورها:

> كان شيخ الجامع والعمدة وشيخ البلد همّا اللى بيحلوا أى مشكلة، لكن دلوقتى مافيش غير شيخ صغير لجامع هو اللى بيروح البيوت ويحل المشاكل، فحتى العمدة وشيخ البلد فقد دوره اللى كنا نعرفه، حتى الشيخ اللى كان بيروح البيوت يوعظ الناس لما يموت حد أنهم ميصرخوش ويكتفوا بالدعاء للميت والاتعاظ من الموقف اختفى.

ومن كل ما سبق يتضح تفكيك الثوابت والأدوار التقليدية-سواء أكان ذلك رأى الإخباريين أم الشباب-وأن ما كان يؤخذ بوصفه مسلمات قد أصبح عرضة للتفكيك، وأكبر دليل على تفكيك الثوابت هو ما قرره إحدى الحالات من أن يترك تخصص الهندسة وألا يعمل معيدًا فى الجامعة رغم تفوقه، أن يعمل مدرس لغة إنجليزية فى القنصلية الإنجليزية، ويعد هذا عملاً ثوريًّا صادمًا لثوابت المجتمع المصرى، فاحترام كليات القمة المتمثلة فى كلية الهندسة، واحترام العمل فى السلك الجامعى صار أيضًا من الثوابت التى بدأ الشباب يعيدون تفكيكها والنظر فيها، وقد علقت على ذلك إخبارية قائلة: "إنه تصرف صادم لثوابت المجتمع، لكن أليس قسوة أن نفرض عليه أن يمارس عملاً يكرهه طوال حياته ليرضى الجميع؟ ".

ومن هذا يتضح أن ثنائيات الحداثة الذكر/الأنثى، والثوابت التقليدية للأدوار النوعية كأمثلة للثوابت مازالت مجالاً للاحترام فى المجتمع المصرى، أما عن بعض الجدل النسوى

الليبرالى الذى ظهر فى المجتمع المصرى الأفكار الراديكالية، فإنه مازال غريبًا على مجتمعنا، حتى إن جميع الحالات عندما ذكر ما تدعو له من أفكارها البعيدة عن تطلعاتها قد ضحكت ساخرة منها، وذلك إن دل على شىء فإنما يدل على أن الحداثة مازالت تضرب بجذورها فى ثقافة الشباب المصرى، رغم التغير الذى طرأ على الثوابت والثقافة العليا المرتبطة بالدين، ويمكن أن نجمل القول إن الإخباريين والحالات المدروسة يؤمنون بوجود الخالق بوصفه أحد الثوابت غير القابلة للجدل، ويشككون فى الممارسات، أما الثوابت المرتبطة بالممارسات فمازالت محل جدل وصراع بين التشبث بها والتشكيك فى جدواها.

٥-عصر التكنولوجيا والفضائيات والعولمة:

جيل الشباب هو جيل التكنولوجيا من سيارات وقنوات فضائية وإنترنت، وقد أيد ذلك جميع الإخباريين والحالات، فأولاً بالنسبة للسيارات أوضح الإخباريون أن من الواضح أن كل أسرة، بل كل فرد أصبح يمتلك سيارة، وهذا لا يدل على أنه من الطبقة العليا، ففى الطبقة المتوسطة صار الشاب يقتنى سيارة فى أول فرصة ما دام قد بلغ السن القانونية للقيادة حتى قبل التخرج فى الجامعة، وقد أوضحت الإخباريتان اللتان تبلغان نحو ٦٥عامًا أنهما فى بداية حياتهما الزوجية لم يتعلما القيادة، لكن بعد إنجاب الأبناء، وبعد أن وصلوا إلى سن العاشرة، بدأتا تتعلمان قيادة السيارات، بل إن الشباب – فتيانًا أو فتيات - يعدون قيادة السيارات مرحلة متطورة لتعلم قيادة الدراجات، ومع ذلك فقد يصل رفض الانسياق إلى الجموع إلى أن ترفض إحدى الحالات تعلم القيادة، وتفضل إحضار سيارة أجرة عن طريق برامج قامت بها شركات عن طريق الإنترنت، كبرنامج كريم وأوبر الذى جاء على غرار البرامج الألمانية، ويعد هذا التصرف مثارًا لدهشة الكثير من أفراد الأسرة؛ لرغبة الشاب فى أن يبحث عن الوسيلة التى تريحه، حتى وإن كان ذلك مخالفًا للكثيرين.

أما الاكتشافات التكنولوجية والفضائيات فقد أصبحت مثل السيارات منتشرة بدرجة مبهرة، بل ربما أكثر، حتى أوضح الإخباريان السائقان من الشريحة الدنيا للطبقة المتوسطة أن القنوات الفضائية صارت لدى الجميع؛ حتى المناطق العشوائية بها أطباق فضائية، ويرجع ذلك لوجود ما يعرف بالوصلة التى توصل الخدمة إلى الطبقات الدنيا مهما تكن ظروفها الاقتصادية، وقد أصبح استخدام المحمول منتشرًا إلى أقصى درجة بين جميع الفئات، ويوضح سائق الأجرة: "مش كل واحد فى الأسرة عنده موبايل... لأ كل واحد عنده أكثر من موبايل"، ويوضح الإخبارى الشاب أن "التكنولوجيا هى المسيطرة دلوقتى... ففى الشارع نلاقى كل الناس بتسوق عربيات وهما بيتكلموا فى الموبايلات، فكل واحد فى الأسرة عنده عربية تمام زى عندنا... محدش يقدر يستغنى عنها". ويردد سائق الأجرة رواية باعتزاز عن ابنته الطفلة الصغيرة فى الصف الخامس من المرحلة الابتدائية، فقد وجدها يومًا مجهشة بالبكاء، فانفطر قلبه عليها وقال لها:" عايزة إيه بتعيطى ليه؟" فقالت له: "كل واحد عنده إيميل وأنا معنديش"، وكان رد فعل الأب: "ولا يهمك يلا تعالى أشتريلك أحسن واحد"، ويحكى الإخبارى أنها ردت ضاحكة: "تشتريلى إيه!! روح إنت سوق عربيتك"، هكذا عرف سائق السيارة الأجرة أن هناك أشياء لا تجلبها النقود، وأن ابنته الصغيرة المدللة تعرف عن التكنولوجيا ما لا يعرفه، بل الأكثر من ذلك أن ابنته لديها القدرة على أن تسجل له الأغانى على "فلاشة"؛ حتى يسمعها وهو يقود السيارة، ودعم الجميع الرأى القائل إننا فى عصر التكنولوجيا والفضائيات، حتى إن الشباب والأطفال صاروا يعدونها من ضروريات الحياة، ويدل كل ما سبق على أن حياة الشباب المصرى قد تغيرت، وهو ما يمكن أن نطلق عليه عولمة حياة الشباب المصرى وتهجين ثقافته بالثقافات العالمية، حتى صارت ثقافة الفضائيات وتجاوُزُ الإيمان بالتكنولوجيا هو المهيمنَ على الشباب وثقافته

فى مرحلة يطلق عليها الغرب "ما بعد الهيومانية"، وهى مرحلة تتجاوز العلاقات الإنسانية التقليدية، ومن مظاهر هذه المرحلة تشاؤم الشباب المصرى من التكنولوجيا مثلما كان في الغرب، وهذا ما بدا للباحثة فى المقابلات، ويفسر ذلك علماء الاجتماع بأنه بعد الحرب العالمية الثانية أصبح الشباب فى الغرب متشائمًا؛ وذلك نتيجة لتطور التكنولوجيا وتطبيقاتها والكوارث التى نجمت عنها مثل التلوث البيئى وبعض الأمراض الجديدة والتنافس فى التسلح، ولكن هذا التشاؤم انتقل إلى سائر العالم دون وعى، فهذه الظاهرة وإن وجدت مؤخرًا فإنها ليست رد فعل للأحداث نفسها(Marx, 2016, 11).

٦-الإعلام ومدى سيطرته على العقول:

من خصائص ما بعد الحداثة سيطرة الإعلام على العقول المتلقية للرسالة الإعلامية. فى هذا الصدد يقول الإخبارى سائق السيارة الأجرة: "وأنا صغير كنت بهرب من المدرسة، أو أمثل إنى مريض يوم الأحد علشان أتفرج على اليوم المفتوح، فالشباب معذور عنده فى القنوات الفضائية البرنامج المفتوح طول الوقت، علشان كده الشباب الإغراء له كبير"، كما قال الإخبارى سائق السيارة الأجرة الثانى إن عنده تليفزيونًا فى كل حجرة من المنزل؛ ليتابع كل فرد من أفراد الأسرة القناة التى تعرض البرنامج الذى يريده.

وقد أثبتت دراسة الحالات تعددية لافتة للانتباه فى المزاج الشخصى للحالات، فقد اتضح اختلاف أذواق الحالات فى اختيارهم لأفضل مقدم لبرنامج حوارى (التوك شو)، حتى إن هناك من رفض رفضًا باتًا مقدمًا ما، فى حين أبدت إحدى الحالات الإعجاب به، وهذه التعددية وتقبل الآخر يبدوان من سمات تراثنا أكثر من كونهما من خصائص فترة أو عصر من العصور التى عاشها الشعب المصرى؛ وقد عبرت عن ذلك الأقوال المأثورة المتوارثة من التراث: "موسى نبى، عيسى نبى، محمد نبي، وكل من له نبي يصلى عليه...".

وعلى الرغم من ذلك فقد أجمع الإخباريون على رفض تدني الثقافة التى تعرضها وسائل الإعلام، ولقد أوضح الإخباريون والإخباريات من الشريحة العليا والدنيا للطبقة المتوسطة تدنى لغة الإعلام، وعلى الرغم من وجود عبارات بعضها خارج عن المألوف فى هذه البرامج، فإن كل حالة تختار حسب ميولها البرنامج الذى يستهويها.

وقد أجمعت الحالات من الشريحة العليا على أنه لا يوجد متسع من الوقت من أجل المتابعة الكاملة لكل برامج التليفزيون؛ ولذلك فإن لهم دورًا إيجابيًّا فى انتقاء المادة الإعلامية التى يتلقونها، فقد أظهروا ذلك "أديكى شايفة كلنا بنجرى فى طاحونة طول الوقت، إحنا وكل اللى بيشتغلوا معانا"، "لما بنحب نشوف حاجة أو نتابع مسلسل تركى أو أمريكى بنفتح وقت ما نعوز على النت"، إلا أن الشريحة الدنيا كسائق السيارة الأجرة قال إنه يعتمد على الصحف اليومية التى يقرؤها بنهم شديد كلما سنحت له الفرصة، وهو من المحللين الذين على وعى شديد بأمور الساعة، حتى أنه قد أفرغ وقتًا لكى يشاهد أولى جلسات البرلمان مع أنه تنبأ له بالفشل، وقد صدقت رؤيته حول تدنى المستوى الثقافى للمرشحين هو ما رآه دليلاً على تدنى الرأى العام، كما أن بعض مصادر الأنباء صار مشكوكًا فيها بعد فقد الثقة بقناة الجزيرة، بعد أن كانت أيام الثورة المصدر الرئيسى للأخبار، وسيطرت على فكر العامة، ومع ذلك فإن وعى الشعب المصرى تحول عنها بعد أن أثبتت تحيزها المكشوف وتصنعها لبرامج تعطى صورة كاذبة أو مشوهة عن الأوضاع فى مصر؛ مما أدى فى نظر الإخباريين والحالات إلى انصراف الناس عنها، فالمشاهد المصرى للقنوات الفضائية انتقائى، يختار ما يتناسب مع فكره..

وقد دعم هذا الفكر الشباب من الحالات، بل الأكثر من ذلك فإن الشباب لا يأخذون الرسائل الإعلامية على علاتها لكن ينقدونها، فتروى الحالات أن "الشباب رفضوا برنامجًا فى الفضائيات؛ لأنه كان يعرض هيفاء وهبى بينما يتحرش بها رجل"، حيث أكدت الحالات أهمية الدور الذى قام به الشباب من إغلاق هذا البرنامج الذى يمتهن المرأة وقيم المجتمع المصرى المحافظ، بل إن حالة أخرى دعمت هذا الرأى قائلة: "أنا أعرف شاب كان مبهور بالمذيع (ابراهيم عيسى)؛ لدرجة أنه كان بيحط صورته تظهرله كل ما يفتح اللابتوب، لكن مؤخرًا غضب عليه وقال إنه متلون"، ومن الجدير بالذكر أن الحالات لا تشاهد جهاز التليفزيون المتعارف عليه فى المنازل، لكن "إحنا بنختار اللى إحنا عاوزين نتفرج عليه ونفتح الإنترنت ونجيبه سواء برامج أو مسلسلات، طبعًا كده أحسن من غير عطلة الإعلانات، وممكن نشوف أكتر من حلقة لما نحب"؛ وكأن لسان حال الشباب نحن نوجه البرامج الإعلامية، وليست هى التى توجهنا، ومن هنا نرى أن الشباب المصرى يقاوم سيطرة وسائل الإعلام عليه، ومحاولته التدنى بثقافة الشباب من أجل مغانم تجارية.

أما اللغة المتدنية فهم يرون أنها محاكاة للغة الطبقة الدنيا التى يروج لها منتجون سينمائيون، هدفهم الأول هو تحقيق أعلى ربح مادى من أمثال آل السبكى، الذين تتسم أعمالهم بمخاطبة غرائز الشباب والبعد عن النواحى الثقافية، وتوجز الحالات هذه المشكلة وحلها فى كلمات: "المشكلة مشكلة اقتصادية؛ حيث إن الدولة لا تقوم بتمويل اقتصادى للثقافة الجماهيرية فقد سمحت لأمثال آل السبكى بإفساد الرأى العام؛ لأن العائد المادى هو هدفهم الوحيد"، كما أوضح شاب آخر أن عصر العولمة الذى نعيشه سبب أيضًا فى تدنى الذوق العام:" العولمة خلت أغلى شيء الزواج وأرخص شيء هو الإنسان".

كل ذلك ساعد على تدنى لغة الحياة اليومية بين الشباب، فقد أوضح الإخباريون من سائقى السيارات الأجرة أن أغانى التوك توك المسفة قد أثرت فى لغة العامة من الطبقة الدنيا، وأنها راحت تنتقل بصورة أو بأخرى إلى الطبقة الوسطى ممن يستقلون المينى باص والتوك توك، وقد لاحظت إحدى الحالات مصطلح (أم) الذى يضيفه الشباب فى حديثهم العام دون قصد السب أو المدح، فصار هذا اللفظ بذلك يقلل من شأن الأم وحرمتها بين الشباب، وقد لاحظت الإخبارية تردد هذا اللفظ فى الحديث بين الشباب وفى المسلسلات والأفلام؛ للتعبير عن التبسط فى اللغة بين الطبقة الدنيا أو الشرائح الدنيا من الأصدقاء، كما أوضحت الإخباريات تدنى لغة رجل الشارع من سائقى السيارات والأتوبيسات والمينى باصات، حتى أنهن أجمعن على أن أفضل طريقة للقيادة هى إغلاق النوافذ وانطلاق المرأة فى طريقها دون أن تعبأ بما يحدث حولها، أو ما يقوله الآخرون.

من كل ما سبق يتضح أن التكنولوجيا وثقافة العولمة وتهجين الثقافات والتعددية فى الأذواق وسلطة الفن الهابط ونفوذ الإعلام والنسبية، قد قدمت لنا شبابًا ينتمون لثقافة مغايرة، ومع ذلك فإن الكثير قد بدأ ينتقد هذا التغيير، فمن الممكن أن نقول: إن ذوق الشباب أصبح ينتمى لثقافة ناقدة لثقافة ما بعد الحداثة، فبينما يرى علماء ما بعد الحداثة أن هذه المرحلة قد أذابت الحدود بين الثقافة الشعبية للعامة والثقافة الرفيعة فى الفن والحياة اليومية (Featherstone, 2007, 64)، فإن ما وراء الحداثة رغم عدم إنكارها لثقافة مابعد الحداثة بدأت تفسر ثقافة الحاضر، وبدأت تبحث عن إمكانية وجود قيم ترجع لتاريخ قديم حتى قبل ظهور الحداثة وما بعد الحداثة (٦٥)، وهذا ما تم ملاحظته، حيث رغب الشباب خلال المرحلة الحالية في تأمل ما حدث من تغيير مع إمكانية الحفاظ على بعض القيم حتى إن تمت مراجعتها.

٧-تسليع الإنسان والنزعة المادية وتوحش الرأسمالية :

فى عصر ما بعد الحداثة يتحول الإنسان إلى سلعة تخضع للعرض والطلب، ويذهب أحد الإخباريين لأكثر من ذلك مدعيًا أن الإنسان لم يعد عليه طلب، فلم يعد له سعر، وصار سلعة بلا أجر، فالإنسان فى نظر الإخبارى فى مصر ليس له سعر كما فى أمريكا، يقول الإخبارى السائق الذى حاول الهجرة إلى أمريكا: "إحنا فى مصر ما بنقدرش المثقفين ولا بنديهم حقهم... أكبر دليل على كده المثقفين بيسيبوا البلد...اللى بيسيطر هم رجال الأعمال وحتى أغلب فلوسهم بره...حتى عائلة ساويرس لولا الأب الأكبر نجيب ساويرس وحبه لمصر كانوا خرجوا اللى فاضل من فلوسهم، ورجال الأعمال ما بيدوش العمال اللى عندهم أد جهدهم"، وهذا ما توصل إليه علماء الاجتماع من أن عصر ما بعد الحداثة قد توحشت فيه الرأسمالية، ووصلت إلى أقصى حد لها(Nealon, 2012).

وقد عبرت الحالات كلها عن حبها لمصر ورغبتهم في البقاء بها حتى نهاية عمرهم، رغم أن الإخبارية التى تقيم الحفلات ترى أن المقهورين فى مصر ليسوا طبقة العمال فقط، بل وصل الأمر إلى الطبقة المتوسطة قائلة: "الطبقة المتوسطة هى كمان بقت مطحونة ده؛ حتى ممكن إننا نقول ماعدش هناك طبقة متوسطة، كل اللى بيشتغلوا معايا أكبر دليل، الكل بيشتغلوا كل واحد فى الأسرة: الأب والأم والأولاد بيشتغلوا من الصبح بدرى لآخر النهار علشان يعيشوا"، بل إن هذه الحالة أوضحت رأيها بوصفها صاحبة عمل من أن "الطبقة الفقيرة صارت شرهة ومبتقدرش كفاح الطبقة المتوسطة والعليا بكفاحها، وعايزين علاوات ومكافآت زى اللى حصل فى فترة الثورة لما العمال كانوا بيطالبوا بالعلاوات وهما مبيشتغلوش". وقد توحشت الرأسمالية وأثرت فى مستوى أصحاب الأعمال الصغيرة، كما أوضحت الإخبارية التى تمتلك مشروعًا صغيرًا للطهى والحفلات: "الشباب عندى مطحونين لكن أعمل إيه بيشتغلوا من ٧ صباحًا يوميًا للخامسة بعد الظهر بأجر صغير، لكن أعمل إيه هو ده النظام والوضع فى البلد". وكلمات هذه الإخبارية توضح الاغتراب الذى يشعر به مساعدوها، وكأنهم يبيعون جهدهم على أنه جزء من كيانهم، بل إن فكرة تسليع العمال من الطبقات العاملة سواء أكانوا من الخادمات أم العمال قد أصبحت واقعًا مقررًا.

وفكرة تسليع المرأة وتشييئها وجدت فى عصر ما بعد الحداثة؛ فصارت المرأة سلعة تباع وتشترى، وقد تجسدت هذه الفكرة فى أقوال الحالات، وبخاصة فتاة جميلة ورياضية ومن شريحة عليا، قد أوضحت أن المرأة تُقَيَّم بجمالها وينظر إليها الشباب كقيمة مادية؛ قائلين: "الجميلة جمالها يتوزن بالدهب". فضروريات الحياة للشباب قد أصبحت مادية فى المقام الأول، وقد قال أحد الشباب إن موضات الشباب حتى تعدت سرعة تغيير الكمبيوتر والمحمول لشراء أحدث نوع، ولكن "الواحد بيتعود على حاجة ويدور على حاجة جديدة، الأول عربية آخر طراز، وبعدين شاليه فى مارينا وبعدين السخنة... ودايمًا فيه اللى بيدور عليه، وكلها أحلام مادية". وقد أوضحت حالة أخرى أنه حتى فتاة أحلام الشباب قد تغيرت؛ فأصبح الشباب يريد الفتاة التى تعمل ولها دخل محترم يساعد فى نفقات المعيشة، ومما سبق يتضح أن تسليع الإنسان وتقديمه للعرض والطلب وفقده لإنسانيته إنما جاء نتيجة للرأسمالية، وهى نزعة ظهرت فى عصر الحداثة، وإن كانت توحشت فى عصر ما بعد الحداثة مع النزعة المادية التى تغولت فى هذا العصر، فبدت فى أخطر صورها.

٨-العولمة وظاهرة مجدونلدزية المجتمع:

صارت ثقافة العولمة هى الثقافة السائدة، أى صارت ثقافة العالم الأول(أمريكا) هى الثقافة السائدة، التى انتشرت فى الدول النامية ومنها مصر نتيجة نظرية التبعية العالمية،

وقد ظهرت ثقافة الدول النامية ومنها مصر- كما تدعى دول العالم الأول- مجسدة ثقافة القرية الصغيرة، التى ترى أن العالم قد تحول إليها، ومن مظاهر هذه الثقافة تبدو لنا ثقافة المجدونلدز والبلوجينز التى تمثل المأكل والملبس الشعبى للشعب الأمريكى، التى انتشرت فى باقى دول العالم، وتجربة مجدونلدز مثال للوجبات السريعة التى جاءت بديلاً للوجبات المنزلية، والأولى صارت مثالاً لمنتج غذائى ظهر فى صورة وجبات مجمدة ومعدة للتقديم والبيع فى سلسلة مطاعم الوجبات السريعة. وقد عرف المجدونلدز مع عصر الحداثة، وارتبطت ظاهرة المجدونلدزية بالعولمة وعناصر ما بعد الحداثة، ومن بعض خصائص هذه الظاهرة تحويل الثقافة الغربية إلى ثقافة عابرة للقوميات؛ مما ساعد على نقل تلك الثقافة وتأثيرها فى الثقافات المحلية عبر عدد من الممارسات؛ حتى صارت ظاهرة عالمية أخذت صورًا مختلفة تتلون مع الثقافة المحلية التى توجد فيها، والتى تختلف من ثقافة لأخرى(Kellner, 2016). ففى مصر على سبيل المثال وجدت الوجبة الشعبية (الطعمية) مع الهمبرجر الوجبة الأمريكية الشعبية، وكلتاهما جاءت وجبة سريعة بأثمان فى متناول الشباب المصرى حتى فى محلات ماجدونلدز ذاتها، ومن هنا عرفت هذه الظاهرة "بمجدونلدزية المجتمع" التى تسعى لزيادة المنتج، وتحقيق التوقعات، وتخفيض قيمة الإنتاج، والتحكم عبر استبدال التكنولوجيا بمعظم العمالة البشرية (Kellner, 2016).

وقد تبين عشق العالم الثالث لسندوتشات المجدونلدز التى تروج لها الشركات العالمية، وكذلك البلوجينز الذى صار سمة من سمات عصر ما بعد الحداثة، ويفضل معظم الشباب والشابات ارتداء البلوجينز؛ لأنه يتحمل العمل الشاق ومناسب للحياة العملية، وما يدعو لعجب الكثير منهم هو أن يدعى البعض أن ارتداءه يعد أساسًا جزءًا من ثقافة العالم الأول؛ إذ إنه قد تم الاندماج بين ثقافات العالم؛ حتى صار البلوجينز والمجدونلدز سلعاً شعبية فى كل العالم، واستمرت ذلك ضمن تبعات الحداثة لتصبح من تبعات ما بعد الحداثة.

ويعارض ذلك التيار الجارف بعضُ الحالات التى وقفت تصارع هذا الاتجاه، وقد أعربت حالة عن رفضها الانسياق وراء الوجبات السريعة Junk Food قائلة: "الشباب دلوقتى بقا عنده وعى بالثقافة الصحية، ومش دايمًا بيدور على الوجبات السريعة؛ لأنهم عارفين أضرارها". كما قالت حالة أخرى: "فيه ستات بيوت دلوقتى بيعملوا أكل وبيبيعوه عن طريق الإنترنت..."، وهذا يجمع بين سهولة الحصول على الطعام مع الاحتفاظ بالطابع الصحي للوجبة، وهكذا اتضح أن الشباب أوجدوا بدائل صحية أكثر من الوجبات السريعة، وعندما سألت الباحثة إحدى الحالات عن ارتدائها للبنطلون الأزرق الجينز أجابتها "لأنه عملى .. النهارده فى المحاضرة التمهيدى مثلاً كلنا لابسين جينز: عشرة من حداشر لابسينه أزرق...أما الحادية عشرة فلابسة جينز أسود"، فى حين اختلفت معها حالة أخرى: " لكن برضه ده تقليد للغرب.."، وفسرت إخبارية ذلك موضحة "أن اللبس ده عملى إلا أن الشباب بقا آلات متحركة من غير شخصية تميز بين شاب أو شابة".

٩-البراجماتية:

تعد البراجماتية التى نعرفها اليوم امتدادًا للحداثة والاقتصاد الليبرالى، فقد ارتبطت بالمصلحة الشخصية، وتعرف بأنها السعى وراء الفائدة والمصلحة والملكية الخاصة، والمنافسة داخل النظام الرأسمالى، وقد امتدت مع ثقافة الحداثة والنمو التكنولوجى لمرحلة أبعد من مرحلة الحداثة(Moghaddam, 2012). وقد اتضح من الدراسة الميدانية أن الفكر البراجماتى يتجسد فى أوضح صوره بين الإخباريين ممن يرتبط عملهم بعائد مادى

مباشر، كسائق السيارة الأجرة الذى يقوم بتوصيل أقاربه بأجر تمامًا مثلهم مثل الغرباء قائلاً: "دى عربية أجرة... بتفتح بيت...". كذلك الإخباريتان المتقدمتان فى العمر اللتان يبيع أولادُهما الشبابُ الملابسَ خاصةً والبضائع الأخرى عامة للمعارف والصديقات، فهذا النوع من النشاط التجارى يتطلب نظرة براجماتية تفكر فى المنفعة والربح، فالجميع سواء أكانوا من الأصدقاء أم المعارف يحاسبون على السلع وعلى أجر النقل، ولا يدخل باب المجاملة فى هذه الأمور وإلا خسرت التجارة، فالشباب من أبناء الإخباريتين يقومون بمساعدة التجار الآخرين على توزيع بضائعهم، على أن يساعدوهم فى توفير اليد المساعدة وتوزيع السلع وبيعها ولكن بعائد مادى.

وقد وجدت الباحثة صعوبة فى رصد براجماتية الشعب المصرى كلية بعيدًا عن ميادين التجارة سابقة الذكر؛ وذلك لأنها ليست من قيمه المتأصلة فيه؛ لذا تحاكيها الشرائح الدنيا باستحياء، ومن يعمل فى المشاريع الصغيرة من النساء على أنها "شطارة"، وخير مثال على ذلك أن إحدى الشابات كانت تزور جيرانها، وفى الوقت نفسه تعرض عليهم الملابس التى يبيعها زوجها بأسعار أقل؛ لأنه يصفى محله، ففى هذه الحالة بدت المنفعة متبادلة؛ مما قلل من حدة الشعور بالمنفعة السلبية التى تزدريها الثقافة المصرية. وقد أوضحت الحالات أن الشعب المصرى يرفض مبدأ النفعية الشخصية؛ لأنها ضد قيمنا، وقد علق الشباب على هذا العرف: "يقدر المصريون إنكار الذات، وينظرون للمنفعة الشخصية على حساب الآخرين على أنها ضد أعرافنا، ولكن نحن المصريين نعانى من مشكلة فهم البراجماتية بالمعنى الإيجابى الذى لا يتعارض مع العمل الجماعى الذى قامت عليه الحضارة الغربية عامة والأمريكية على وجه الخصوص" .

١٠- ثقافة الاستهلاك المظهرى:

ظهرت النظريات المرتبطة بالاستهلاك المظهرى بوضوح على يد ثورستون فبلن فى عصر الحداثة، إلا أن هذه الظاهرة قد تغولت فى عصر الاستهلاك (عصر ما بعد الحداثة)؛ وخير مثال على ذلك إقبال الشباب على تغيير المحمول واستخدام الأحدث، كما عبر عن ذلك أحد الشباب، الذى لاحظ هوس الشباب بسرعة تغييرهم للأجهزة، حيث يشترون أحدث طراز للكمبيوتر والمحمول والسيارة، كلٌّ حسب قدرته المالية، ولكن هذا الاستهلاك المظهرى فى بعض الأحيان يتعدى إمكانات الطبقة التى ينتمى إليها الفرد، وقد اتضح ذلك من قول إحدى الحالات بأن خادمتها قد جلبت "تاب" لطفلتها التى لم تبلغ السنوات العشر، وأنها تحمله معها كلعبة لا تفارقها، كما أنه من الملاحظ أن الإخبارية التي تنتمي إلى الشريحة العليا وتعمل فى إقامة الحفلات- ترتدى الملابس المستوردة التى تجلبها من أمريكا بعد سفرها كل فترة لتجديد أوراق الجنسية، أو التى يهديها لها أقاربها الذين هاجروا إلى أمريكا وأقاموا واستقروا وعملوا فى التجارة هناك.

وهذا لا ينفى وجود حالات ترفض الانصياع الأعمى لتيار الاستهلاك المظهرى، فتروى شابة أنه قد تقدم لها عريس وقال لها: "موبايلك عامل زى الكوز"، فرفضته وقالت: "إحنا مش غلابة علشان أتجوز عشان اللى عرضه علي من هدوم ماركات وسيارة آخر موديل، وكمان يتريق على عربيتى وموبايلى"، وهذا إن دل فإنما يدل على وعى طائفة من الشباب واعتزازه بنفسه، وعدم انبهاره بالمظاهر مثل الآخرين، فسائق السيارة الأجرة يروى أنه دائمًا يعد أولاده بالاحتفال فى العيد ويفتخر: "حاعزمكم فى شيراتون،" وقد ضحك وهو يقول: "أخدتهم عند حماده بتاع الفول اللى فى شيراتون"، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الاستهلاك المظهرى قد لا يكون فى استطاعة الجميع، وإن كانت المظاهر تبهر الشباب.

ومن الجدير بالذكر أن شباب الطبقة المتوسطة يتشبه بنظائرهم في الطبقة العليا عبر استهلاكها المظهرى، والطبقة العليا تتشبه بالشرائح العليا فى الغرب، التى صارت تتشبه بالطبقة الدنيا فى الموضات العالمية مثل الملابس الممزقة، وحفلات فرق الشباب فى الهواء الطلق، وقد أوضح الشباب أن ذلك يروق لهم؛ لأنه يتناسب مع روح العصر، وقد ذهب بيير برديو Bourdieu إلى أن هذه الظاهرة ما هى سوى "نقلة لأسفل" بدلاً من أن تكون "نقلة لأعلى" بالثقافة؛ لأن نشأتها فى الغرب كانت برغبة من الطبقة المتوسطة فى تقليد طبقة العمال فى الملبس بالإضافة إلى أنه سلوك عملى، وبهذا انتشرت الثقافة الشعبية بين جميع الطبقات (Trigg, 2001: 99–115)، وكذلك انتقلت هذه الموضات فى عدد من مظاهر الحياة اليومية كاللغة التى انتشرت بين الشباب المصرى التى تتشابه مع لغة العمال، وهذا نتاج لهذه الثقافة المستوردة، ولذلك وجدنا المزاوجة بين ثقافة الاستهلاك المظهرى والتشبه بلغة الطبقة الدنيا نتيجة لعولمة عصر ما بعد الحداثة وسمة عالمية للعصر عامة، وليست الشباب المصرى خاصة.

١١-الانبهار بالغرب:

انبهر إيهاب حسن رائد ما بعد الحداثة بالغرب وخاصة أمريكا، وتدل على ذلك سيرته الذاتية نفسها: فهو قد ولد فى القاهرة، وحصل على الدرجة الجامعية من كلية الهندسة من مصر، وسافر إلى أمريكا (١٩٤٦) وبعد حصوله على الماجستير فى الهندسة، حصل على الدكتوراه فى الأدب الإنجليزى(١٩٥٣)، واختار أن يكون أمريكيًا، ثم حصل على الجنسية الأمريكية (١٩٥٦)(Sim, 1998, 271–72)، وكان يعتز بأنه أمريكى، ويرفض أن يطلق عليه مصرى-أمريكى(Hassan, 1995, 250)، فلقد فضل أن ينتمى للحضارة الأمريكية، وقد قال إحدى العبارات الشهيرة فى مؤتمر عالمى أقامته جامعة عين شمس، ولم يحضره بنفسه، ولكن قدم فيه ورقة عمل: "لكم أتعجب من أن الإنسان كائن متحرك، ومع ذلك يقيد نفسه ويربطها فى الأرض بجذور" (٢٠٠٢،٢٥)، وهذا النموذج الصارخ لإنسان ما بعد الحداثة يثير فضولنا وتساؤلنا عن مدى توافقه مع شباب الثورة المصرية، وخاصة النماذج التى تطمح فى السفر للخارج، سواء للدراسة أم الهجرة، فقد حاول العديد من الشباب السفر لخارج مصر فترات طويلة من أجل الدراسة أو زيارة أقاربهم المهاجرين فى ألمانيا وأمريكا وكندا وفرنسا.

فعلى الرغم من انبهار الشباب بالغرب ومحاولتهم للسفر للدراسة أو زيارة أقاربهم المهاجرين، فإن أغلبهم لم يهاجروا حتى الآن؛ لعدم تقبلهم فكرة ترك البلاد وقطع جميع الروابط العائلية بها، ويعد ذلك السبب الحقيقى فى رأيهم وراء تمسكهم بالإقامة فى مصر، فقد رفض أحد الشباب من الحالات الهجرة لأمريكا من أجل العمل بها عندما عرض عليه ذلك هناك، وكان شرطه الوحيد ألا يسافر إلى أمريكا إلا إذا حصل على عقد عمل فى الولاية التى يقيم فيها أقاربه المهاجرون إليها، وقد دعم إخبارى أهمية الروابط الأسرية عندما روى أنه عندما تقدم لطلب الهجرة لأمريكا حصل على موافقة على طلبه، ولكن لم يستطع الحصول على الموافقة لأبنائه الشباب، فرفض أن يستمر فى الإجراءات قائلاً: "بلدى هى بلد ولادى"، وهكذا يبدو أن من ينتمون إلى جيل الآباء يغرسون فى الشباب الروابط الأسرية، وأن الشباب لا يزال يحتفظ بحبه للجو العائلى.

أما الإخبارية المسيحية التى حصلت على الجرين كارد من أمريكا فقالت: "مصر زى أمريكا.. أمريكا مش أحلى، وأحلى حاجة فى مصر أهلها، بنتى ضيعت الجرين كارد

لأن جوزها رفض يسافر معاها، وفضلت تفضل فى مصر"، وهذا الشعور بالاعتزاز من جانب المصريين بروابطهم الأسرية رغم الفرص المتاحة لهم بالهجرة ظاهرة واضحة فى معظم المصريين، وهذا يختلف عن شعور الإنسان فى عصر ما بعد الحداثة كما صوره رائدها إيهاب حسن.

ويرى شاب سافر لألمانيا للدراسة أن العولمة قد محت الحدود بين البلاد، وأن الروابط العائلية من الممكن فى المستقبل أن توجد رغم المسافات البعيدة، فهو يروى أنه وهو يدرس فى ألمانيا كان على اتصال بأسرته طوال الوقت، يستطيع أن يراهم من خلال "السكيب"، حتى أن أطفال أخته رغم صغرهم قابلوه عندما عاد وكأنه تركهم من يومين، ومع ذلك شعر بالغربة وفضل العودة إلى مصر. وفكرة العولمة لا تتنافى دائمًا مع الوطنية، فالشباب الذى يرغب فى الهجرة من الحالات وأبناء الإخباريين ويتباهون بنظافة الغرب ونظامه هم أيضًا من شجع مصر فى بطولة الأمم الإفريقية، وهم من تمنوا أن تصل مصر لكأس العالم، حتى أن بعض الحالات اعترفت بأنها بكت عندما هُزِمَتْ مصر فى المباراة النهائية.

وترجع بعضُ الحالات ظاهرةَ الهجرة غير الشرعية لانبهار الشباب بالغرب، إلا أن روايات الحالات والإخباريين تتعارض مع هذا التفسير، فهم يرون أنها لا تعنى قلة وطنية من جانب الشباب، وإنما هى طلب لتحقيق حلم الثراء السريع، فقد قالت إحدى الإخباريات: "سمعت أن قرية سفرت أولادها بره.. ورجعوا وعمروها وخلوها جنة". فهؤلاء الشباب لم يكن حلمهم هو التخلص من جنسيتهم، بل العودة بالثراء لتعمير قراهم! أما الشباب الذى يسعى وراء الهجرة فهم من يشعرون بأن بلدهم لفظتهم؛ فلم تمنحهم فرصة للمشاركة فى العمل وبناء الوطن، ومع ذلك فإن الغالبية العظمى تحلم بالعودة للوطن فى ظروف أفضل.

١٢-أهمية لحظة الحاضر و"عيش اللحظة":

أصبح معظم الشباب المصرى متشائمًا، ليس لديه أحلام واسعة يريد أن يحققها فى المستقبل، ولا يجد جدوى فى التفكير فى الماضى، بل إنه يعيش ليومه فقط، ومن واقع الحياة اليومية نجد أن معظم الشباب قد تركوا الاهتمام بالقضايا العامة أو ما يطلق عليه القصص الكبرى، وانصبت طموحاتهم فى تحقيق بعض مطالب الحاضر أو المستقبل القريب كأن يتزوجوا أو يتفوقوا فى تعليمهم وخاصة الجامعى، أو أن ينجحوا فى السياق المهنى السليم الذى يسمح لهم ببناء مستقبل. فالشباب يعملون لساعات طويلة خارج المنزل؛ مما يستغرقهم لدرجة جعلتهم يفكرون فى حلم شخصى لهم خارج حدود عملهم، والشاب الذى عاد من دولة عربية يستغرق كل وقته فى الزراعة، وقد ملأ كل حجرات المنزل زرعًا، وصار ذلك يستوعب كل وقته، خاصة أنه لم يلتحق بأى عمل منذ عاد إلى القاهرة.

وعندما خبا حلم الشباب فى أن يحدث تغييرًا سريعًا وجذريًا، وأن يصبح لهم دور فعال، حل محله دور المشاهد لأحداث يتسم الكثير منها بالسطحية، ولم يعد هناك قصص كبرى تشكل أحلام الشباب، فأغلب الشباب والشابات لهم أحلام شخصية يحلمون بها، ولكنها أحلام لا تتعدى الأحلام الفردية، فهم يعيشون يومهم ولا يفكرون فى حلم جماعى، وقد عبر عن ذلك شاب: "حقًا وقت الثورة كان عندى حلم للبلد، لكن دلوقتى عندى حلم مرتبط بنجاحى الشخصى المرتبط بالعمل، نجاحى مرتبط بخطوات وعمل عليا أعمله وباعمله"، كما أوضح أيضًا: "كل الشباب دلوقتى بيحلم بتكوين أسرة وأولاد، وبعد الثورة بقى ده حلمهم حتى لو ضحوا فى سبيل كده بأحلام تانية كانت أحلامهم"، كما أوضحت الشابات أن لديهن أحلامًا بسيطة كتكوين أسر أو النجاح فى مسارهن المهنى من خلال استكمال نجاحهن وتفوقهن، وقد أوضحت حالة:" كنت مشاركة فى مشروع برلمان الشباب اللى نمثل

فيه الشباب على مستوى الجمهورية، لكن سبته لأنه اتعارض مع مذاكرتى ودراستى" . ومن هنا اتضح أن الحلم الفردى لدى الشباب قد حل محل الحلم الجماعى الذى عبر عنه منظرو بعد الحداثة بفناء القصص الكبرى، وتغلبت القصص الصغرى المتمثلة فى أحلام صغرى شخصية، يمكن أن نقول عنها إن الشباب يعيشون يومهم، يحلم فقط بالغد القريب ويجاهد من أجله، لا لوطنه ولا لجيله، ومن تداعيات الثورة وتداعيات ما بعد الحداثة الشعور باليأس من إمكانية الخروج من سطوة النظام العالمى الرأسمالى؛ لذلك يتحول الفاعل إلى مشاهد على مسرح التاريخ.

على الرغم من الطاحونة التى يدور فيها جميع الشباب، وتجعلهم مستغرقين فى مشاكلهم اليومية، فإنهم فى الأزمات يستغرقون جميعًا فى الأحوال السياسية، فنجد أنه خلال فترات التمرد والانتخابات والاستفتاء على الدستور فى أثناء الثورات اتفقت جميع الحالات على أهمية ان يذهبوا للجان الانتخابات، بل رأينا الأبناء يساعدون المتقدمين فى السن للإدلاء بأصواتهم بعيدًا من الطوابير، وهذا يعد خير دليل على حلمهم ونشاطهم الجمعى الذى جمع المصريين ولم يفرقهم، على الرغم من اختلافهم فى الرأى حول من سيختارونه للرئاسة أو صوتهم الذى سيدلون به، وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على حلم أكبر لم يتحقق بعد، ومازال الشباب يأمل فى أن يحققه مستقبلاً.

رابعًا- أهم النتائج:

١- أهم ما توصلت له الدراسة أن شباب مصر- كما أوضح الحالات والإخباريون- قد مارس سلوكيات مرتبطة بثقافة ما بعد الحداثة حتى قبل ثورة ٢٥ يناير، وذلك من خلال تبعيات الحداثة التى ظهرت وتوغلت من خلال العولمة، التى حولت العالم إلى قرية صغيرة، حتى أن ثقافة الحداثة وبعد الحداثة وسلوكياتهما ظهرت متضافرة معًا، فبدأت إرهصات ما بعد الحداثة تظهر فى السلوك الفوضوى الذى اعترف به الشباب، الذى لم ينكر ما اكتسبه المجتمع من سلوكيات سلبية تولدت حتى قبل الثورة الأخيرة التى عرفتها مصر، وأصبحت الفوضى ظاهرة واضحة؛ وكأن فوضى ما بعد الحداثة هى التى أنتجت الثورة المصرية، وليست ثورة الشباب وخروج جميع أطياف الشعب المصرى.

٢- من أهم ما يميز ثقافة ما بعد الحداثة ذلك الاتجاه الفكرى الذى يشكك فى جميع الحقائق، بينما جيل شباب الثورة يعلن أن الحقيقة هدف، ولكن من الصعب الوصول إليها، وهذا الاتجاه أصبح واضحًا فى أقوال الشباب المصرى من الحالات، فالوصول إلى اليقين - على حد قول الشباب - أصبح صعبًا؛ لعدم صدق رواة التاريخ، فالشباب على يقين من تزييف بعض الحقائق التاريخية، سواء ما كان مرتبطًا منها بالتاريخ القديم أم الحديث، وإن كان بعضهم مازال يؤمن بأن كثيرًا مما دُرِّسَ فى المدارس على أنه التاريخ لا يتعارض مع الحقيقة، ولكنهم اعترفوا بأنه بعد الثورة المصرية ٢٠١١ بسنوات اقتنع الشباب بأن الأحداث الجارية التى ستمثل فى المستقبل التاريخ المعاصر والتى تبث عن طريق الإعلام أكبر دليل على موت الحقيقة؛ وذلك لتضارب الأقوال من قناة فضائية لأخرى.

٣- على الرغم من رفض الحقيقة الثابتة وإنكار صدق التاريخ كلية، فإن معظم الشباب على حد قول الحالات مازالوا يؤمنون بحقيقة مؤكدة، هى الله، وأن الكتب السماوية تحمل الحقيقة التى لا نزاع حولها، والتى يجب أن تتركز القيم والثوابت حولها، وهم فى ذلك يختلفون عن التيار الغربى الذى شاع خلاله الشك فى وجود أى حقيقة، حتى

الكتب السماوية، أما المؤسسات الدينية ورجال الدين فلم يسلما من هجوم الكثيرين، الذين شككوا فى مصادر ثرواتهم، إن كانوا مسيحيين أم مسلمين، حتى إن كثيرًا من الشباب صاروا لا يأخذون بكثير من تفسيراتهم وفقههم، ويشككون فى كثير من الثوابت التى يروج لها رجال الدين، بل إنهم أيضًا يرفضون فكرهم، ويرون أن الآراء التى يحاولون نشرها لم تعد تناسب العصر وحاجاته، والقيمة السلبية لهذه الفجوة بين الشباب والمؤسسات الدينية هى التى جعلت الشباب مشوشًا لا يعرف الدور المطلوب منه، كما أن مفاهيم الخير والشر قد اختلطت عليه، وبهذا فإن الشباب تعدى مرحلة شك ما بعد الحداثة إلى مرحلة ما وراء الحداثة التى تتمثل فى الشك فى شك ما بعد الحداثة، وأصبح يلقى اللوم على قصور رؤية رجال الدين التى لا تتناسب مع العصر.

٤- صار الشباب لا يستغنون عن التكنولوجيا والكمبيوتر والمحمول فى عصر الإلكترونيات الذى اقترن بمادية الآلة، إلا أن النظرة المادية والرغبة فى التباهى دفعت بالشباب إلى التنافس على اقتناء الأحدث والأغلى، فأصبح الاهتمام بالتكنولوجيا مقترنًا بثقافة الاستهلاك المظهرى، كما أن استخدام هذه الآلات قد أفقد الشباب الكثير من النواحى الإنسانية، وأهمها التواصل المباشر والأحاديث العفوية التى تعبر عن تلاقى الإنسان بالإنسان بعيدًا عن الآلة، ومن الجدير بالذكر- ووفقًا لنظرية ما بعد الحداثة - أن التكنولوجيا أيضًا دفعت بالشباب فى الدول النامية للتشاؤم، دون أن يعرف السبب وراء ذلك.

٥- ورغم ما سبق فإن الدراسة الميدانية تظهر تحرر الكثير من الشباب من وهم سيطرة الإعلام على أذهانهم وثقافتهم، ورغبتهم فى توجيه الإعلام بدلاً من الانصياع الأعمى له، فالشباب قد يرفضون بعض البرامج ويفضلون انتقاء بعضها الآخر عن طريق شبكة المكتبة الدولية؛ حتى يتخلصوا من الإعلانات التليفزيونية.

٦- يبدو انتشار الفن الهابط إحدى خصائص عصر ما بعد الحداثة وهو ما عرف بفوضى الإعلام، التي تعد فى نظر الشباب من الحالات شأنًا يعكس ثقافة العشوائيات التى هى جزء من الواقع، وإن كانت تعود بالربح الوفير على المنتجين وحسب، ويكمن الحل فى نظر الشباب فى أن تتدخل الدولة كشريك منافس فى إنتاج الأفلام السينمائية والدراما التليفزيونية، فتخلق توازنًا يعيد الفن إلى مساره القويم، وهذا دليل على أن الشباب المصرى بدأ ينقد سلبيات ما بعد الحداثة ويتجاوزها لمرحلة جديدة، يمكن أن نطلق عليها مرحلة ما وراء الحداثة.

٧- إن النظر إلى المرأة على أنها سلعة تباع وتشترى قد بدا واضحًا مع ظروف العصر، التى جعلت الشباب يرون أن أغلى شىء هو الزواج وأرخص شىء هو الإنسان، بل إن الشابات يرين أن الشباب يبحثون عن الزوجة ذات الدخل الكبير؛ لتشاركهم فى الإنفاق على الأسرة، كما أن الشابات أكدن أن الشباب يختارون المرأة الجميلة ليزنوا جمالها بالذهب.

٨- بدا واضحًا أن الشباب المصرى انتقائى؛ فقد أخذ من العولمة ما يفيده ويتناسب معه بينما سعى بعضهم الآخر إلى التطوير ليتناسب مع ثقافته، فنجد أن شباب الجامعة يميلون لارتداء "البلوجينز"؛ لأنه عملى حتى وإن اعترفوا بأن به محاكاة للغرب الأمريكى، أما الهمبرجر والوجبات السريعة فصار الإقبال عليها أقل عن ذى قبل لسببين: الأول زيادة اهتمام الشباب بالثقافة الغذائية السليمة، والسبب الثانى قيام بعض ربات البيوت بمشروعات صغيرة لبيع الوجبات التى اعتادت ربة البيت طهيها، وهذه الوجبات يسهل شراؤها عن طريق الإنترنت.

٩- مازال الشباب المصرى لا يحترم البراجماتية الغربية؛ لأن ثقافة إنكار الذات مرتبطة بالقيم العليا، وهى مصدر احترام بعض الشباب لبعضهم، ولكن عندما ينظر الشباب لجهدهم فى العمل أو تسويقهم لسلعة أو جهد ما فإن البراجماتية بمعنى المنفعة الفردية المتبادلة تحترم من جانب الشباب، ومن هنا يتضح أن بعض خصائص الحداثة مازالت مستمرة، وتنعكس على سلوك بعض الشباب، ولكن بعد أن تلونت بالثقافة المصرية.

١٠-مازال أغلب الشباب المصريون مبهورين بالغرب، ولكنهم على الرغم من ذلك مازالوا متمسكين بالروابط الأسرية وجذورهم، على عكس إيهاب حسن - أحد رواد ما بعد الحداثة - الذى ترك جنسيته ورفض جذوره المصرية واختار الانتماء للثقافة الأمريكية، فأغلب الشباب المصرى يفخر بانتمائه لمصر، وهذا يبدو مناقضًا لرغبة بعضهم فى الحصول على الجنسية الأمريكية، وهذه الرغبة تبدو فى الظاهر فقط، فالأغلب لم تعد تبهره الثقافة الأمريكية بصفة خاصة، فالجيل الأكبر سنًّا وجد أن مصر التى تحتضنه وأبناءه أولى به فى هذه المرحلة المهمة، وهؤلاء الذين أخفقوا فى الحصول على الجنسية الأمريكية لم يظهروا أنهم فقدوا الكثير، وتكمن رغبتهم فى الحصول على الجنسية الأمريكية من أنها ورقة قد يحتاجون إليها يومًا ما، ومن هذا نرى أن الشباب المصرى مازال يعتز بانتمائه لمصر، وليس صورة لما يحدث لإنسان ما بعد الحداثة كما يروج لذلك إيهاب حسن.

١١-إن عصر ما بعد الحداثة وما يتسم به من "عيش اللحظة" بلا قصة كبرى (حلم جماعى)-كما تروج له ثقافة ما بعد الحداثة ببرامجها الإعلامية وإعلاناتها- ليس السمة الغالبة على ثقافة الشباب المصرى، فمع أنه يعيش تداعيات عصر ما بعد الحداثة، فمازال يؤمن بأن هناك بعض الحقائق التاريخية التى لا يمكن إنكارها، والتى دعمها كل من المصادر التعليمية والإعلامية التى ترسخت منذ الطفولة، والأهم فى نظر الشباب هو وجود حقيقة مؤكدة هى العقل(العقل البشرى أو الإرادة الإلهية كعقل أكبر)، ومع أن ثورة الشباب المصرى قد نبعت من حلم جماعى فإن تداعيات ما بعد الحداثة قد أوجدت شبابًا مطحونًا ركز طموحاته فى حلم شخصى فردي؛ مما يؤكد أن هذا عصر فناء القصص الكبرى(الحلم الجماعى)، وعصر الاستمتاع اللحظى ببعض المكاسب الشخصية، وهذا الصراع بين حلم الشباب وما تحقق فى الواقع قد خلق نظرة تشاؤمية إلى حد كبير، ونحن لا نستطيع أن نقول إن الحلم الجماعى قد خبا تمامًا، فمازال الشباب يأملون فى تحققه مستقبلاً.

١٢-وأخيرًا توصلت الدراسة الميدانية إلى صعوبة وضع حد فاصل بين خصائص ثقافة عصر الحداثة وعصر ما بعد الحداثة، فقد اتضح أننا فى مصر فى عصر ما بعد الثورة بخصائص عصر جديد؛ يتفق مع عصر ما بعد الحداثة عبر الشك فى الكثير من المسلمات التاريخية والاجتماعية، إلا أنه يرفض فلسفة الشك اللانهائية، ويؤمن أن هذا العصر سيجد فى المستقبل الرؤية التى تتفق مع ظروفه الجديدة، وهو كذلك يتفق مع عصر الحداثة فى كونه يؤمن بوجود حقيقة يمكن أن نرجع إليها فى النهاية بعد الشك، إلى الوصول إلى حقيقة مؤكدة ترجع إليها ثقافتنا المصرية، وهذا يفسر تأرجح الشباب بين ثقافة الحداثة وثقافة ما بعد الحداثة، وهو ما عرف مؤخرًا بثقافة عصر ما وراء الحداثة.

Abstract

Consequences of Postmodernism and Egyptian Post-Revolution Youth Culture: An Anthropological Study

By Hanaa Mohamed

This study tries to link the view of the youth who witnessed the uprise of the revolutions of 2011 and 2013 to the Postmodernist culture. Thus, the aim of the study is to know how the Egyptian youth have reacted to post-revolution culture and to what extent they have submitted to the characteristics of Postmodernism or whether they have trespassed this step to acquire a new culture.

The researcher applied the anthropological method with the application of case study and everyday life discourse methods with their tools which are beneficial and suitable for the research. Postmodernist culture is measured in accordance to everyday life discourse through the representative words that youth utter, and their reactions and narrations. The researcher also examined mass media caricatures, and informants' words and stories that reflect everyday life culture.

The researcher followed a number of methodological procedures starting by literature review that deals with modernism and its consquences. Observing and living in most everyday life experiences with youth and reading articles and caricatures in newspapers and mass media helped the researcher to reach the charisticatics of this period. The main informants of the study were chosen to have a big network of relations with youth from their sons, daughters and their acquaintances. Observing and sharing graduate students in everyday life discourse enabled the researcher to form several group and indepth interviews, as they have the ability to expess themselves and so successfully represent their culture. Consequently, the researcher analysed the fieldwork data of case studies and various interviews in the light of Postmodernist theoretical perspective.

The most important conclusions of the research are that Egyptian youth behavior is colored by postmodernist chaos before 25 January revolution. Even reaching "Truth" as youth puts it is now far reaching, as they believe that history is a lie that is forged. However, they believe in God as the only finite Truth, and that The Holy Books carry the truth to us, but religious preachers are the ones who are to blaim as their preachings are not suitable for the age. Besides, objectification of women, late capitalism and technology pessimism, which appeared in postmodernism with its roots in modernism, accelerated and reached their utmost degree in this age. Finally, the researcher reached the conclusion that Egyptian youth culture wavers between modernism and postmodernism and creates a new culture that we might call meta-modernism.

المصادر والمراجع:

١-المراجع العربية

أحمد زايد، *خطاب الحياة اليومية فى المجتمع المصري*، دار القراءة للجميع، دبى، الطبعة الأولى، ١٩٩٢.
أحمد مجدى حجازى، "أزمة القيم"، *مجلة الديمقراطية*، العدد٩، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، القاهرة، ٢٠٠٤.
أسماء أحمد عبد الغفار، رؤية المثقفين ورجال الأعمال لقيم ما بعد الحداثة: دراسة ميدانية فى مدينة القاهرة، دراسة لنيل درجة الماجستير فى الآداب تخصص علم الاجتماع، كلية البنات، جامعة عين شمس، ٢٠٠٧.
سمير أحمد الجزار، "التربية العربية ومأزق الثنائية المتوهمة، الحداثة والتغريب،" *العرب والتربية والعصر الجديد*، الكتاب السنوي الثالث عشر، الكويت، ١٩٩٧-١٩٩٨.
عبد الوهاب المسيرى، "فى أهمية الدرس المعرفى،" *نحو نظام معرفى إسلامى*، المعهد العلمى للفكر الإسلامى، مكتبة الأردن، ٢٠٠٠، ٤١-٦٠.
على وطفة، "الحداثة وما بعد الحداثة"،*فكر ونقد، العدد٤٣، ١٠ نوفمبر٢٠٠١، ٤١-٥٠.*

٢-المراجع الأجنبية:

Featherstone, Mike. *Consumer Culture and Postmodernism*, Sage Publication, Los Angeles and London, 2007.
Hassan, Ihab. "Postmodernity: The Local/Global Context", *Literary Criticism at the End of the Century*.The Second International Conference for Literary Criticism, Cairo, 2002.
--------. *Rumors of Change: Essays of Five Decades.* Albana UP, Tuscaloosa and London, 1995.
Hickman, Larry A. *Pragmatism and Post-postmodernism: Lessons From John Dewey*, Fordham University Press, New York, 2007.
Marx, Leo. The Idea of "Technology" and Postmodern Pessimism. In *Technology, Pessimism and Postmodernism*, Ezrahi, Yaron, **Mendelsohn**, E., **Segal**, Howard (Eds.), Springer, Michigan, 1994:11-28.
Nealon, Jeffrey T. *Post-postmodernism or Cultural Logic of Just-In-Time Capitalism*, Stanford University, Stanford, 2012.
Sim, Stuart.*The Icon Critical Dictionary of Postmodern Thought*, Icon Books, Cambridge, 1998.
Trigg, Andrew B. "Veblen, Bourdieu, and Conspicuous Consumption", *Journal of Economic Issues*, Vol. 35, No1, March, 2001, pp.99-115.
Vermeulen, Timotheus and Robbin van den Akker, "Notes on Metamodernism", *Journal of Aesthetics and Culture*, Vol.2, 2010.
Yousef, Tawfiq. Modernism, Postmodernism and Metamodernism: A Critique", *International Journal of Language and Literature*, June 2017, Vol.5, No1, 33-43.

٣-مواقع شبكة المعلومات الدولية:

Google ضرورة استئناف التعريف،١١يونيو ٢٠١٢،:محمود حيدر، الحداثة وما بعد الحداثة *Online* ٢٣فبراير ٢٠١٥، ٧مساء. *http://www.albayan.ae/opinions/articles/2012-06-11-1.1666768*
Kellner, Douglas. Postmodern A/Anthropology *Yahoo Online* 6/11/2016,7Pm*http://www.uta.edu/huma/illuminations/kell30.htm*
----------, Theorizing/Resisting McDonaldization: A Multiperspectivist Approach, *Google Online*, 7/11/2017, 11pm. *http://www.gseis.ucla.edu/faculty/kellner/kellner.html*
Moghaddam, A. Arfaei, Three of Concepts: Modernism, Postmodernism

and Globalization, 2012 *Yahoo Online* 6/11/2016, 6Pm.
https://www.academia.edu/2112210/Three_of_concepts_Modernism_Postmodernism_and_globalization
Inglehart, Ronald. "Globalization and Postmodern Values" Winter 2000
Google Online 7/11/2007 7pm
www.Twq.Com/Winter00/231Inglehart.Pdf.
Jameson, Frederic, A Summary of Postmodernism, *Yahoo Online*
17/2/2016, 6:30Pm *www.bdavetian.com/Postmodernism.html*
Postmodernity, *Google Online* 5/8/2016, 7Pm
http://www.philosopherkings.co.uk/postmodernity.html
What is Post-postmodernism? *Google Online*, 5/8/2016, 9Pm
http://www.quora.com/What-is-post-postmodernism